كيف نحقق التوحيد؟

لسماحة الإمام
عبد العزيز بن عبد الله بن باز
رحمه الله



دار الوطن للنشر

كيف نحقق التوحيد؟



الطبعة الرابعة

١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م



مدار الوطن للنشر

هاتف : ٠٠٩٦٦٤٧٩٢٠٤٢ (٥ خطوط)

فاكس : ٠٠٩٦٦٤٧٢٣٩٤١

الموقع على الإنترنت :
www.madaralwatan.com

البريد الإلكتروني :
pop@madaralwatan.com


بسم الله الرحمن الرحيم

وجوب عبادة الله وحده
وبيان أسباب النصر على الأعداء[(١)]

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمدٍ، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين، أما بعدُ:

فإن أهم واجب على المكلف وأعظم فريضة عليه أن يعبد ربه سبحانه رب السماوات والأرض ورب العرش العظيم القائل في كتابه الكريم: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤].

وأخبر سبحانه في موضع آخر أنه خلق الثقلين لعبادته فقال عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

وهذه العبادة التي خلق الله الثقلين من أجلها هي توحيده، بأنواع العبادة من الصلاة والصوم والزكاة والحج والركوع والسجود والطواف والذبح والنذر، والخوف والرجاء والاستغاثة والاسْتِعانَةِ والاستعاذة، وسائر أنواع الدعاء، ويدخل في ذلك طاعته سبحانه في أوامره، وترك نواهيه، على ما دل عليه كتابه الكريم وسنة رسوله الأمين عليه من ربه أفضل الصلاة والتسليم، وقد أمر الله سبحانه جميع الثقلين بهذه العبادة التي

---

(١) مجلة البحوث الإسلامية العدد (١٨).

خلقوا لَها، وأرسل الرسل جميعًا وأنزل الكتب لبيان هذه العبادة، وتفصيلها والدعوة إليها والأمر بإخلاصها لله وحده، كما قال تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ٢١].

وقال عزّ وجلّ: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ [الإسراء: ٢٣].

ومعنىٰ «قضىٰ» في هذه الآية: أمر وأوصىٰ وقال تعالىٰ: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴾ [البينة: ٥]. والآيات في هذا المعنىٰ في كتاب الله كثيرةٌ.

وقال عزّ وجلّ: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ [الحشر: ٧].

وقال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [النساء: ٥٩].

وقال عزّ وجلّ: ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾ [النساء: ٨٠] الآية.

وقال سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ [النحل: ٣٦] الآية.

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

وقال سبحانه: ﴿ الٓر كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ إِنَّنِي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ ﴾ [هود: ١-٢].

فهذه الآيات المحكمات وما جاء في معناها من كتاب الله كلها تدل على وجوب إخلاص العبادة لله وحده، وأن ذلك هو أصل الدين، وأساس الملة كما تدل على أن ذلك هو الحكمة في خلق الجن والإنس وإرسال الرسل، وإنزال الكتب، فالواجب على جميع المكلفين العناية بهذا الأمر والتفقه فيه، والحذر مما وقع فيه الكثيرون من المنتسبين إلى الإسلام من الغلو في الأنبياء والصالحين، والبناء على قبورهم واتخاذ المساجد والقباب عليها، وسؤالهم والاستغاثة بهم، واللجوء إليهم وسؤالهم قضاء الحاجات، وتفريج الكروب وشفاء المرضى والنصر على الأعداء إلى غير ذلك من أنواع الشرك الأكبر، وقد صحَّ عن رسول الله ﷺ ما يوافق ما دل عليه كتاب الله عزَّ وجلَّ، ففي الصحيحين عن معاذ رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال له: «أتدري ما حقُّ الله على العباد؟، وحقُّ العباد على الله»، فقال معاذٌ: قلت: الله ورسوله أعلم. فقال النبي ﷺ: «حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئًا[1]» الحديث، وفي صحيح البخاري عن

(١) رواه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب اسم الفرس والحمار، رقم(٢٨٥٦)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة، رقم(٣٠).

كل شيء، والتحاكم إليها وتعطيل القوانين الوضعية المخالفة لشرع الله، وعدم التحاكم إليها، وإلزام جميع الشُّعوب بحكْم الشَّرع، كما يجب علىٰ العلماء تفقيهُ النَّاسِ في دينهم، ونشر التوعية الإسلامية بينهم، والتواصي بالحق والصبر عليه، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتشجيع الحكام على ذلك كما يجب محاربة المبادئ الهدامة من شيوعية واشتراكية وبعثية. وتعصب للقوميات وغيرها من المبادئ والمذاهب المخالفة للشريعة، وبذلك يصلح الله للمسلمين ما كان فاسدًا، ويرد لهم ما كان شاردًا، ويعيد لهم مجدهم السالف، وينصرهم علىٰ أعدائهم ويمكن لهم في الأرض، كما قال تعالى وهو أصدق القائلين: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧].

وقال تعالىٰ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [النور: ٥٥].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ۖ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾ [غافر: ٥١-٥٢].

واللهُ المسؤول سبحانه أن يصلح قادة المسلمين وعامَّتهم، وأن يمنحهم الفقه في الدين، ويجمع كلمتهم علىٰ التقوىٰ، ويهديهم جميعًا

صراطه المستقيم، وينصر بهم الحق، ويخذل بهم الباطل، وأن يوفقهم جميعًا للتعاون على البر والتقوىٰ، والتَّواصي بالحقِّ والصبر عليه، إنَّه وليٌّ ذلك والقادر عليه، وصلّىٰ الله وسلَّم علىٰ عبده ورسوله وخيرته من خلقه، نبيِّنا وإمامنا سيدنا محمد بن عبد اللهِ، وعلىٰ آلِه وأصْحابِه، ومن اهتدىٰ بهُداه، إلى يوم الدِّينِ.

* * *

التوحيدُ وأنواعُه(١)

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، والصلاة والسلام على عبده ورسوله وخليله وأمينه على وحيه، وصفوته من خلقه، نبينا وإمامنا وسيدنا محمد بن عبد الله، وعلى آله وأصحابه ومن سلك سبيله، واهتدى بهداه إلي يوم الدين.

أيها الإخوة في الله: سمعنا جَميعًا من سورة الحشر، سمعْنا آياتٍ كريماتٍ فيها عبرة وذكرىٰ، يقول الله جل وعلا: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الحشر: ١٨]، إلى آخر السورة، ومن المعلوم أن كتاب الله عزَّ وجلَّ من أوله إلىٰ آخره، فيه الذكْرىٰ وفيه الدعوة إلىٰ كل خيرٍ، وفيه التذكير بأسباب

---

(١) محاضرة ألقيت في جامعة أم القرىٰ بالمركز الصيفي وهي ضمن مجموع فتاوى ومقالات متنوعة (١/ ٢٨ ـ ٤٩) [بتصرف].

النَّجاة والسَّعادة، وفيه العِظةُ والترغيب والترهيبُ.

فجديرٌ بالمسلمين جميعًا أن يعتنوا بتدبُّره وتعقُّله، وأن يكثروا من تلاوته لمعرفة ما أمر الله به وما نهى عنه، حتى يعلم المؤمن ما أمر الله به فيمتثله، ويبتعد عما نهى الله عنه.

فكتاب الله فيه الهدى والنورُ، وفيه الدَّلالةُ على كل خيرٍ، والتحذيرُ من كل شرٍّ، وفيه الدعوةَ إلى مكارم الأخلاقِ ومحاسِن الأعْمال، والتحذيرُ من سيّءِ الأخلاق، وسيء الأعمال، يقول سبحانه: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾ [الإسراء: ٩] أي إلى الطريقة والسَّبيل الَّتي هي أهدىٰ السُّبل وأقومها وأصلحها، وقال سبحانه: ﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ﴾ [فصلت: ٤٤]، وقال تعالىٰ: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [ص: ٢٩]، وقال تعالىٰ: ﴿ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ﴾ [الأنعام: ١٩]، فكتاب الله فيه الهدىٰ والنور، وفيه العظة والذكرىٰ، فوصيَّتي لنفسي وللجميع ومن يسمع كلمتي أو تبلغه:

العناية بهذا الكتاب العظيم، فهو أشرف كتاب، وأعظم كتاب، وهو خاتم الكتب المنزلة من السماء، ومن تدبره وتعقله بقصد طلب الهداية، ومعرفة الحق، وفقه الله وهداه.

وأهمُّ ما اشتمل عليه هذا الكتاب العظيمُ، بيان حق الله علىٰ عباده، وبيان ضد ذلك؛ هذا أعظم موضوعٍ اشتمل عليه القرآن، وهو بيان حقه

سبحانه علىٰ عباده من توحيده، وإخلاص العبادة له، وإفراده بالعبادة، وبيان ضد ذلك من الشرك الأكبر، والذنب الذي لا يغفر، وأنواع الكفر والضلال.

ولو لم يكن في تدبر هذا الكتاب العظيم إلا العلم بهذا الواجب العظيم، وتدبر ما ذكره الله في ذلك، لكان ذلك خيرًا عظيمًا، وفضلاً كبيرًا، فكيف وفيه الدلالة على كل خير، والترهيب من كل شر، كما تقدم.

ثمّ بعد ذلك العنايةُ بالسنة، فإنَّها الأصل الثاني، والوحي الثاني، وفيها التفسير لكتاب الله والدلالة على ما قد يخفى من كلامه سبحانه، فهي الموضحة لكتاب الله كما قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤]، ويقول سبحانه: ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾ [النحل: ٦٤]، فهو أنزل لدعوة الناس إلىٰ الخير، وتعليمهم سبل النجاة، وتحذيرهم من سُبل الهلاك، وأمر الله نبيه عليه الصلاة والسلام أن يبيّن للناس ما أنزل إليهم، وأن يشرح لهم ما اشتبه عليهم. فلم يزل عليه الصلاة والسلام من حين بعثه الله إلىٰ أن توفاه سبحانه يدعو الناس إلى ما دل عليه كتاب الله، ويشرح لهم ما دلَّ عليه، ويحذرهم مما نهى عنه. وكانت المدة من حين بعثه الله إلىٰ أن توفاه ثلاثًا وعشرين سنة، كلّها دعوة وبيان وترهيب وترغيب، إلى أن نقل إلى الرفيق الأعلى عليه الصلاة والسلام.

ومحاضرتي هذه الليلة في أعظم موضوع، وأهم موضوع، وهو موضوع العقيدة، موضوع التوحيد وضده.

فالتوحيد هو الأمر الذي بعث الله من أجله الرسل، وأنزل من أجله الكتب، وخلق من أجله الثقلين، وبقية الأحكام تابعة لذلك. يقول سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]. المعنى ليخصوه سبحانه بالعبادة، ويفردوه جل وعلا بها، ولم يخلقوا عبثاً ولا سدىٰ، ولا ليأكلوا ويشربوا، ولا ليعمروا القصور ونحوها، ولا لشق الأنهار، وغرس الأشجار، ولا لغير هذا من مهمات الدنيا، ولكنهم خلقوا ليعبدوا ربهم، وليعظموه، وليتمسكوا بأوامره، وينتهوا عن نواهيه، ويقفوا عند حدوده، وليوجهوا العباد إليه، ويرشدهم إلىٰ حقه.

وخلق لهم ما خلق من النعم ليستعينوا بها علىٰ طاعته، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البقرة: ٢٩]، وقال سبحانه: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ [الجاثية: ١٣]، والله جل وعلا أنزل الأمطار، وأجرىٰ الأنهار، ويسّر للعباد من أنواع الرزق وأنواع النعم ما يُعينهم علىٰ طاعته، وما يكون زادًا لهم إلىٰ نهاية آجالهم، إقامةً للحجة، وقطعًا للمعذرة، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، وقال سبحانه: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وقال سبحانه: ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ

ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ [الزخرف: ٤٥]، وقال جل وعلا: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣]، وقال سبحانه في سورة الفاتحة: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥].

إلىٰ غير ذلك من الآيات الدالآت علىٰ أنه سبحانه خلق الخلق ليعبدوه وحده، وأمرهم بذلك، وأرسل الرسل لهذا الأمر، ليدعوا إليه، وليوضحوه للناس.

فوجب علىٰ أهل العلم خلفاء الرسل أن يُبينوا للناس هذا الأمر العظيم، وأن يكون أعظمَ المطلوب، وأن تكون العناية به أعظم عناية، لأنه متىٰ سلم صار ما بعده تابعًا له، ومتىٰ لم يوجد التوحيد لم ينفع المكلف ما حصّل من أعمال وأقوال، قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨]، وقال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣]، وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥]، في آياتٍ كثيرات.

ويؤيد هذا المعنىٰ أنه عليه الصلاة والسلام، مكث بمكة عشر سنين، يدعو الناس إلى توحيد الله، قبل أن تفرض عليه الصلاة وغيرها، كلها دعوة إلىٰ توحيد الله، وترك الشرك وخلع الأوثان، وبيان أن الواجب علىٰ جميع الثقلين أن يعبدوا الله وحده، ويدعوا ما عليه آباؤهم وأسلافهم من الشرك.

ولهذا سأل هرقلُ ملكُ الروم أبا سفيان بن حرب في أيام الهدنة، وكان أبو سفيان في وفد من قريش في تجارة بفلسطين، وصادف مجيء هرقل إلىٰ القدس، فقيل له عنهم، فأمر بإحضارهم لسؤالهم عما يعلمون عن هذا النبي الذي بلغه خبره، وكان ذلك في وقت الهدنة، وعلىٰ رأسهم أبو سفيان بن حرب، فسألهم عنه، وعن قوله: إنه نبي؟!

فأمر بأبي سفيان فأجلسه أمامه، وأجلسوا أصحابه خلفه، وقال لترجمانه قل لهم: إني سائلُه فإن كذَب فليكذّبوه.

فسأل عن النبي ﷺ، وعن أشياء كثيرة معروفة في البخاري وغيره، ومما سأل عنه: أن سألهم عما يدعوهم إليه؟

فقالوا: يدعونا إلىٰ أن نعبد الله وحده، وأن نترك ما عليه آباؤنا، ويأمرنا بالصلاة والصدق والصلة والعفاف.

فقال لهم: إن كان كما قلتم ليملكنَّ موضع قدمي هاتين[١]. فكان الأمر كما قال، فملك الله المسلمين الشام، وأزاح عنها الروم، ونصر الله نبيه وأيد حزبه.

والمقصود أن هذا الأصل هو الأمر العظيم.. ولما تساهل فيه الناس - إلا من رحم الله - وقعوا في الشرك الأكبر، وهم يدّعون الإسلام وينكرون علىٰ من رماهم بخلافه، وهم على الشرك بسبب جهلهم بهذا

---

(١) رواه البخاري: كتاب بدء الوحي، باب بدء الوحي، رقم(٧).

الأصل العظيم، فقد اتخذوا كثيرًا من الأموات آلهة من دون الله يعبدونهم، ويطوفون بقبورهم، ويستغيثون بهم، ويسألونهم شفاء المرضى، وقضاء الحاجات، والنصر على الأعداء.

ويقولون: هذا ليس بشرك وإنما هو تعظيم للصالحين، وتوسل بهم إلىٰ الله.

ويقولون أيضًا: بأن الإنسان لا يدعو الله مباشرة إنما يدعو الله بواسطة الأولياء، وهم كالوزراء بالنسبة إلىٰ الرب، كما أن الوزراء بالنسبة للملوك هم الواسطة، فشبهوا الله بخلقه، وعبدوا خلقه من دونه؛ نسأل الله العافية.

فكل هذا من أسباب الجهل، وقلة البصيرة بهذا الأصل العظيم، فعباد البدوي، وعباد الشيخ عبد القادر، وعباد الحسين، وعباد غيرهم من الناس، أصابهم البلاء من هذا السبيل، جهلوا حقيقة التوحيد، وجهلوا دعوة الرسل، والتبست عليهم الأمور، فوقعوا في الشرك واستحسنوه، وجعلوه دينًا وقربة، وأنكروا على من أنكر عليهم، وقل أن تجد في غالب الأمصار العالم البصير بهذا الأصل العظيم، بل تجد من يشار إليه بالأصابع، ويُقال إنه العالم، وهو مع ذلك ممن يعظم القبور، التعظيم الذي لم يشرّعه الله، ويدعو أهلها، ويستغيث بهم وينذر لهم ونحو ذلك.

أما علماء الحق، علماء السنة، علماء التوحيد فهم قليل في كل مكان.

فالواجب على الطلبة في هذه الجامعة، وعلى جميع الطلاب في جميع الجامعات الإسلامية أن يعتنوا بهذا الأصل، وأن يُحْكِمُوه غاية الإحكام، حتى يكونوا دعاة للهدى، ومبشرين بالحق، وحتى يكونوا مبصِّرين للناس بحقيقة دينهم الذي بعث الله به نبيه محمدًا عليه الصلاة والسلام، وبعث به الرسل جميعًا.

وهذه الكلمة التي أقولها لكم الآن تتعلق بأنواع التوحيد وأنواع الشرك. والتوحيد مصدر وحَّد يوحد توحيدًا يعني وحَّد الله أي اعتقده واحدًا لا شريك له في ربوبيته، ولا في أسمائه وصفاته، ولا في ألوهيته وعبادته، سبحانه وتعالى؛ فهو واحدٌ جلَّ وعلا وإن لم يوحِّدْه الناس، وإنما سُمِّي إفراد الله بالعبادة توحيدًا، لأن العبد باعتقاده ذلك قد وحَّد الله عزَّ وجلَّ، واعتقده واحدًا فعامله على ضوء ذلك بإخلاص العبادة له سبحانه، ودعوته وحده، والإيمان بأنه مدبرٌ الأمور وخالق الخلق، وأنه صاحب الأسماء الحسنى والصفات الكاملة، وأنه يستحق العبادة دون كل ما سواه.

وعند التفصيل تكون أنواع التوحيد ثلاثة: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات.

[توحيد الربوبية]

فتوحيد الربوبية أقرّ به المشركون، ولم ينكروه، لكنهم لم يدخلوا به في الإسلام لأنهم لم يخصوا الله بالعبادة، ولم يقروا بتوحيد الإلٰهية،

بل أقروا بأن ربهم هو الخالق الرازق، وأن الله هو ربهم، ولكنهم لم يوحِّدوه بالعبادة، فقاتلهم النبي ﷺ حتى يخلصوا العبادة لله وحده.

فتوحيد الربوبية معناه الإقرار بأفعال الرب، وتدبيره للعالم، وتصرفه فيه، هذا يُسمّىٰ توحيد الربوبية، وهو الاعتراف بأنه الخلاّق الرزَّاق مدبر الأمور ومصرفها، يعطي ويمنع، ويخفض ويرفع، ويعزّ ويذلّ، ويحيي ويميت، وهو على كل شيء قدير.

وهذا في الجملة أقرّ به المشركون، كما قال سبحانه: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾ [الزخرف: ٨٧]، وقال سبحانه: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾ [الزمر: ٣٨]، وقال تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [يونس: ٣١].

فهم معترفون بهذه الأمور، لكنهم لم يستفيدوا من هذا الإقرار في توحيد الله بالعبادة، وإخلاصها له سبحانه وتعالىٰ، بل اتخذوا معه وسائط، وزعموا أنها شفعاء وأنها تقربهم إلى الله زلفىٰ، كما قال تعالىٰ: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [يونس: ١٨]، فهو سبحانه لا يعلم له شريكًا لا في السماء ولا في الأرض، بل هو الواحد الأحد، سبحانه

وتعالىٰ، الفرد الصمد، المستحق للعبادة جلّ وعلا، وقال سبحانه وتعالىٰ: ﴿فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٢-٣]، ثم قال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣]، والمعنىٰ يقولون ما نعبدهم إلا ليقربونا إلىٰ الله زلفىٰ، يعني ما عبدناهم لأنهم يضرُّون وينفعون، أو لأنهم يخلقون ويرزقون، أو لأنهم يدبرون الأمور، ولكن عبدناهم ليقربونا إلىٰ الله زلفىٰ وليشفعوا لنا عنده، كما قالوا في الآية السابقة من سورة يونس: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ١٨].

عُرِف بهذا أنهم لم يعتقدوا أن آلهتهم تنفع وتضر، وتحيي وتميت، وترزق وتعطي وتمنع، وإنما عبدوهم ليشفعوا لهم وليقربوهم إلىٰ الله زلفىٰ، فاللات والعزّىٰ ومناة والمسيح ومريم والصالحون من العباد، كل هؤلاء ما عبدهم المشركون الأولون، لأنهم ينفعون ويضرون، بل عبدوهم لأنهم يرجون شفاعتهم، وأن يقربوهم إلىٰ الله زلفىٰ، فحكم الله عليهم بالشرك في قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [يونس: ١٨]، وقال في آية الزمر: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [الزمر: ٣]، فحكم عليهم بالكفر والكذب، حين قالوا: ما نعبدهم إلا ليقربونا إلىٰ الله زلفىٰ، فبين أنهم كَذَبَةٌ في زعمهم أنهم يقربونهم إلىٰ الله زلفىٰ، كَفَرةٌ بهذا العمل، وهو عبادتهم إياهم

بالذبح والنذر والدعاء والاستغاثة ونحو ذلك.

وقد دعاهم ﷺ عشر سنين يقول لهم: «يا قوم قولوا لا إله إلا الله تفلحوا» فأعرض عنه الأكثرون، ولم يهتد إلا الأقلون، ثم أجمع رأيهم علىٰ قتله، فأنجاه الله من شرهم ومن كيدهم، وهاجر إلىٰ المدينة عليه الصلاة والسلام، فأقام بها شريعة الله ودعا فيها إلىٰ الله، وتقبل الدعوةَ الأنصارُ رضي الله عنهم، وجاهدوا معه عليه الصلاة والسلام وجاهد معه المهاجرون من قريش، ومن غيرهم حتىٰ أظهر الله دينه، وأعلىٰ كلمته، وأذل الكفر وأهله.

وهذا النوع الذي أقر به المشركون هو توحيد الربوبية، وهو توحيد الله بأفعاله من خلق ورزق وتدبير وإحياء وإماتة وغير ذلك من أفعاله سبحانه كما سبق، وهو حجة عليهم في إنكارهم توحيد الله بالعبادة لأنه يستلزمه، ويدل عليه ويوجبه.

فلهذا أقام الله الحجة عليهم بهذا الإقرار فقال: ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٣١]، وفي الآيات الأخرىٰ ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [يونس: ١٦]، ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [يونس: ٣].

ومن تدبر هذا الأمر الذي أقروا به، استفاد لو عقل أن هذا المتَّصف بهذه الصفات هو المستحق لأن يعبد، ما دام هو الخلاق وهو الرزاق وهو المحيي وهو المميت وهو المعطي وهو المانع وهو المدبر للأمور، وهو العالم بكل شيء والقادر علىٰ كل شيء، فكيف تُصرف العبادة لغيره،

بل كيف يُرجىٰ غيره، ويُخاف غيره، لو عقل أولئك الكفار، ولكنهم لا يعقلون: ﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [المجادلة: ١٩].

وقال في المنافقين: ﴿صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٨]، وهكذا أشباههم كما قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩]، هؤلاء هم الغافلون حقًّا وهم أشباه الأنعام، بل هم أضل منها، كما وصفهم الله بذلك في آيات بينات، وحجج نيرات، وبراهين ساطعات، ومع ذلك لم يفهموها ولم يعقلوها، واستمروا علىٰ كفرهم وضلالهم، حتىٰ حاربوه ﷺ يوم بدر، ويوم أحد، ويوم الخندق «يوم الأحزاب»، استمروا في كفرهم وضلالهم، ولم تنفع فيهم الآيات، ولم يستفيقوا من غفلتهم وإعراضهم، ولله الحكمة البالغة سبحانه وتعالىٰ والحجة الدامغة.

ثم إنه سبحانه أظهر نبيَّه، وأعزّ دينه، وقهر الأعداء، فغزاهم ﷺ يوم الفتح، ونصره الله عليهم، وفتح بلادهم، ودخلوا في دين الله أفواجًا، وعند ذلك أظهر عليه الصلاة والسلام توحيد الإلهية، وقبله الناس، ودخلوا في الحق، ثم قامت ضده هوازن، وأهل الطائف، فأظهره الله عليهم، وشتت شملهم، واستولىٰ عليه الصلاة والسلام علىٰ نسائهم وذرياتهم وأموالهم، وجعل الله العاقبة والنصر لنبيه ﷺ، ولعباده

المؤمنين فالحمد لله علىٰ ذلك.

[توحيد الأسماء والصفات]

والنوع الثاني: توحيد الأسماء والصفات، وهو أيضًا من جنس توحيد الربوبية، قد أقروا به وعرفوه، وتوحيد الربوبية يستلزمه، لأن من كان هو الخلاق الرزاق والمالك لكل شيء، فهو المستحق لجميع الأسماء الحسنىٰ والصفات العلا، وهو الكامل في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، لا شريك له، ولا شبيه له، ولا تدركه الأبصار وهو السميع العليم، كما قال سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، وكما قال عزَّ وجلَّ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص] وهم - أي الكفار - يعرفون ربهم بأسمائه وصفاته، وقد كابر بعضهم فأنكر اسم الرحمٰن فأكذبهم الله بقوله سبحانه: ﴿كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ لِّتَتْلُوَا۟ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾ [الرعد: ٣٠].

[توحيد الألوهية]

النوع الثالث: هو توحيد الله بالعبادة، وهو معنىٰ لا إلٰه إلا الله، فإن معناها لا معبود حق إلا الله، فهي تنفي العبادة بجميع أنواعها عن غير الله، وتثبتها لله وحده سبحانه وتعالى.

وهذه الكلمة هي أصل الدين وأساسه كله، وهي الكلمة التي دعا

إليها النبي ﷺ، قومه ودعا إليها عمه أبا طالب فلم يسلم ومات على دين قومه.

وقد أوضح الله معناها في مواضع كثيرة من الكتاب الكريم منها قوله سبحانه: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣]، وقوله جل وعلا: ﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣]، وقوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، وقوله: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ . . .﴾ [البينة: ٥]، إلى غير ذلك من الآيات.

وكلها تفسر هذه الكلمة، وتوضح أن معناها: إبطال العبادة لغير الله، وإثبات العبادة بحق لله وحده جل وعلا، كما قال سبحانه في سورة الحج: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [الحج: ٦٢]، وقال في سورة لقمان: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [لقمان: ٣٠].

فالله سبحانه وتعالى هو الحق، وله دعوة الحق، وعبادته هي الحق دون كل ما سواه سبحانه وتعالى، فلا يُستغاث إلا به، ولا يُنذر إلا له، ولا يُتوكَّل إلا عليه، ولا يُطلب الشفاء إلا منه، ولا يُطاف إلا بيته العتيق، إلى غير هذا من أنواع العبادة، وهو الحق ودينه الحق سبحانه وتعالى،

ومن أتقن هذه الأنواع الثلاثة ـ أعني أنواع التوحيد ـ وحفظها واستقام علىٰ معناها، علم أن الله هو الواحد حقًّا، وأنه هو المستحق للعبادة دون جميع خلقه، ومن ضيّع واحدًا منها أضاع الجميع، فهي متلازمة، لا إسلام إلاَّ بها جميعًا، ومن أنكر صفات الله وأسماءه، فلا دين له، ومن زعم أن مع الله مصرِّفًا للكون يدبر الأمور، فهو كافر مشرك في الربوبية بإجماع أهل العلم.

ومن أقر بتوحيد الربوبية والأسماء والصفات، ولكن لم يعبد الله وحده، بل عبد معه سواه من المشايخ أو الأنبياء أو الملائكة أو الجن أو الكواكب أو الأصنام أو غير ذلك فقد أشرك بالله وكفر به سبحانه، ولا تنفعه بقية الأقسام لا توحيد الربوبية، ولا توحيد الأسماء والصفات، حتى يجمع بين الثلاثة، فيقر بأن الله ربه هو الخالق الرازق المالك لجميع الأمور، ويقر بما كفر به المشركون، وحتىٰ يؤمن بأنه سبحانه له الأسماء الحسنىٰ والصفات العلىٰ، لا شبيه له، ولا شريك له، كما قال عزَّ وجلَّ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص]، وقال سبحانه: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٧٤]، وقال عزَّ وجلَّ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

وهذا النوع الثالث: وهو توحيد العبادة، وهو معنىٰ لا إله إلا الله، هو الأساس العظيم لدعوة الرسل لأن النوعين الآخرين لم ينكرهما

المشركون كما تقدم، وإنما أنكروا هذا النوع وهو توحيد العبادة، لمَّا قال لهم: قولوا لا إله إلا الله، قالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ﴾ [ص: ٥]، وقالوا أيضًا: ﴿أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٖ مَّجۡنُونِۭ﴾ [الصافات: ٣٦]، وقبلها قوله سبحانه: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسۡتَكۡبِرُونَ ٣٥ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٖ مَّجۡنُونِۭ﴾ [الصافات: ٣٥ ـ ٣٦]، فكذَّبهم الله بقوله: ﴿بَلۡ جَآءَ بِٱلۡحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ [الصافات: ٣٧].

وهذا النوع هو توحيد العبادة، وهو الذي أنكره المشركون الأولون، وينكره المشركون اليوم، ولا يؤمنون به، بل عبدوا مع الله سواه، فعبدوا الأشجار والأحجار وعبدوا الأصنام، وعبدوا الأولياء والصالحين، واستغاثوا بهم، ونذروا لهم وذبحوا لهم، إلىٰ غير هذا مما يفعله عباد القبور وعباد الأصنام والأحجار وأشباههم، وهم بذلك مشركون كفار، إذا ماتوا علىٰ ذلك، لم يغفر لهم كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء: ٤٨]، وقال سبحانه: ﴿وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ لَحَبِطَ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨]، وقال سبحانه: ﴿مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ﴾ [المائدة: ٧٢].

فلابد من تحقيق هذا النوع، وإفراد الله بالعبادة ونفي الإشراك به سبحانه وتعالى، والاستقامة على ذلك، والدعوة إليه، والموالاة فيه، والمعاداة عليه، وبسبب الجهل بهذا النوع، وعدم البصيرة فيه يقع الناس

في الشرك، ويحسبون أنهم مهتدون، كما قال عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلشَّيَـٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ٣٠]، وقال في حق النصارىٰ وأمثالهم: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَـٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: ١٠٣-١٠٤]، فالكافر لجهله وانتكاس قلبه، يحسب أنه محسن، وهو يعبد غير الله، ويدعو غير الله، ويستغيث بغير الله، ويتقرب بالذبائح والنذور لغيره عزَّ وجلَّ، وما ذلك إلا لجهله وقلة بصيرته، وقد أنزل الله فيهم عزَّ وجلَّ قوله سبحانه: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَـٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٤]، وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٧٩] الآية، فالواجب علىٰ أهل العلم، وعلىٰ طلاب العلم أن يعنوا بهذا النوع أعظم عناية، لكثرة الجهل به، ووقوع أكثر الخلق في ضده.

أما النوعان الآخران: فهما بحمد الله من أوضح الأشياء وأبينها، لكن هذا النوع أعني توحيد العبادة يشتبه علىٰ أكثر الناس بسبب الشُّبَه الكثيرة التي يروِّجها أعداء الله، ويلبِّسون بها علىٰ كثير من الناس، والأمر فيها بحمد الله واضح لمن نوَّر الله بصيرته وهي شُبَهٌ باطلة، لا وجه لها.

فالحق واضح أبلج، وهو وجوب إخلاص العبادة لله وحده، دون كل ما سواه، كما قال عزَّ وجلَّ: ﴿فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ [غافر: ١٤]، وقال سبحانه وتعالىٰ: ﴿فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ

أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨]، وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [يونس: ١٠٦]، ويقول سبحانه وتعالىٰ: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١٣ - ١٤]، ويقول سبحانه: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٧]، في آيات كثيرات كلها دالة علىٰ وجوب إخلاص العبادة لله وحده، وأن صرف العبادة لغير الله شرك وكفر، وهكذا لو اعتقد أن شخصًا أو جمادًا يصلح أن يعبد كفر وإن لم يعبده، فلو اعتقد أن هذا الصنم، أو هذا الشخص كجبرائيل أو النبي محمد ﷺ، أو الشيخ عبد القادر الجيلاني أو البدوي أو الحسين، أو علي بن أبي طالب، لو اعتقد أن واحدًا منهم أو غيرهم يصلح للعبادة، وأنه لا بأس أن يُدعىٰ من دون الله، ولا بأس أن يُستغاث به صار كافرًا، وإن لم يفعل شيئًا.

وهكذا لو اعتقد أنهم يعلمون الغيب، أو يتصرفون في الكون كان كافرًا بهذا الاعتقاد، عند جميع أهل العلم، فكيف إذا دعاهم من دون الله، أو استغاث بهم أو نذر لهم فإنه يكون بذلك مشركًا شركًا أكبر.

وهكذا إذا سجد لهم أو صلىٰ لهم أو صام لهم، صار بذلك مشركًا شركًا أكبر، نسأل الله السلامة من ذلك.

الشرك وأنواعه[١]

وضد التوحيد الشرك، وهو أنواع ثلاثة، والحقيقة أنه نوعان: شرك أكبر، وشرك أصغر.

فالشرك الأكبر: هو ما يتضمن صرف العبادة لغير الله أو بعضها، أو يتضمن جحد شيء مما أوجب الله من الأمور المعلومة من الدين بالضرورة كالصلاة، وصوم رمضان، أو يتضمن جحد شيء مما حرم الله، مما هو معلوم من الدين بالضرورة كالزنا والخمر ونحوها، أو يتضمن طاعة المخلوق في معصية الخالق علىٰ وجه الاستحلال لذلك، وأنه يجوز أن يطاع فلان أو فلانة، فيما يخالف دين الله عزَّ وجلَّ، من رئيس أو وزير أو عالم أو غيرهم فكل ما يتضمن صرف بعض العبادة لغير الله كدعاء الأولياء، والاستغاثة بهم والنذر لهم، أو يتضمن استحلال ما حرم الله، أو إسقاط ما أوجب الله، كاعتقاد أن الصلاةَ لا تجب أو الصوم لا يجب أو الحجَّ مع الاستطاعة لا يجب، أو الزكاة لا تجب، أو اعتقد أن مثل هذا غيرُ مشروعٍ مطلقًا، كان هذا كفرًا أكبر، وشركًا أكبر، لأنه يتضمَّن تكذيب الله ورسوله.

وهكذا لو اعتقد حل ما حرَّم الله مما هو معلوم من الدين بالضرورة، كاستحلالِ الزنا والخمر، وعقوقِ الوالدين، أو استحلَّ قطع الطريق أو

---

(١) مجموع فتاوى سماحة الشيخ ابن باز (١/٤٣-٤٩).

اللواط أو أكل الربا، وما أشبه ذلك من الأمور المعروف تحريمها بالنص والإجماع، إذ اعتقد حلَّها كفر إجماعًا ـ نسأل الله العافية ـ وصار حكمه حكم المشركين شركًا أكبر.

وهكذا من استهزأ بالدين، وسخر به حكمه حكمهم، وكفرُه كفرٌ أكبر، كما قال الله سبحانه وتعالىٰ: ﴿ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ۝٦٥ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ﴾ [التوبة: ٦٥ـ٦٦]، وهكذا لو استهان بشيء مما عظمه الله احتقارًا له، وازدراء له، كأن يستهين بالمصحف، أو يبول عليه، أو يطأ عليه، أو يقعد عليه، أو ما أشبه ذلك استهانة به، كفر إجماعًا، لأنه بذلك يكون منتقصًا لله، محتقرًا له، لأن القرآن كلامه سبحانه وتعالىٰ، فمن استهان به فقد استهان بالله عزَّ وجلَّ، وهذه الأمور قد أوضحها العلماء في باب حكم المرتد، ففي كل مذهب من المذاهب الأربعة ذكروا بابًا سمَّوه: «باب حكم المرتد»، أوضحوا فيه جميع أنواع الكفر، والضلال وهو باب جدير بالعناية، ولا سيما في هذا العصر الذي كثرت فيه أنواع الردة، والتبس الأمر في ذلك علىٰ كثير من الناس، فمن عُني به حق العناية عرف نواقض الإسلام، وأسباب الردة، وأنواع الكفر والضلال.

والنوع الثاني: الشرك الأصغر وهو ما ثبت بالنصوص تسميته شركًا، لكنه لم يبلغ درجة الشرك الأكبر، فهذا يُسمَّى شركًا أصغر مثل: الرياء والسمعة كمن يقرأ يُرائي، أو يُصلي يُرائي، أو يَدعو إلى الله يُرائي

ونحو ذلك.

فقد ثبت في الحديث أنه ﷺ قال: «أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر»، فسئل عنه فقال: «الرياء يقول الله عزَّ وجلَّ يوم القيامة للمرائين: اذهبوا إلى من كنتم تراؤون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم من جزاء[(١)]» رواه الإمام أحمد بإسناد صحيح عن محمود بن لبيد الأشهلي الأنصاري رضي الله عنه، ورواه الطبراني أيضًا والبيهقي وجماعة مرسلاً عن محمود المذكور، وهو صحابي صغير لم يسمع من النبي ﷺ، ولكن مرسلات الصحابة صحيحة وحجة عند أهل العلم، وبعضهم حكاه إجماعًا.

ومن ذلك قول العبد: ما شاء الله وشاء فلان، أو لولا الله وفلان، أو هذا من الله ومن فلان.

هذا كله من الشرك الأصغر كما في الحديث الذي رواه أبو داود بإسناد صحيح عن حذيفة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: «لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان، ولكن قولوا ما شاء الله ثم شاء فلان»[(٢)].

ومن هذا ما رواه البخاري عن قتيلة أن اليهود قالوا لأصحاب النبي ﷺ: «إنكم تشركون، تقولون ما شاء الله وشاء محمد، وتقولون والكعبة

---

(١) رواه أحمد برقم(٢٧٧٤٢).

(٢) رواه أحمد برقم(٢٢٧٥٤)، وأبوداود: كتاب الأدب، باب لا يقال خبثت نفسي، رقم(٤٩٨٠).

فأمرهم النبي ﷺ إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا: «ورب الكعبة» وأن يقولوا ما شاء الله ثم شاء محمد[١] - وفي رواية للنسائي أيضًا عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلاً قال: يا رسول الله ما شاء الله وشئت. فقال: «أجعلتني لله ندًا ما شاء الله وحده».

ومن ذلك ما ثبت عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢]، قال: هو الشرك في هذه الأمة أخفىٰ من دبيب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل، وهو أن تقول: والله وحياتك يا فلان وحياتي، وتقول لولا كليبة هذا لأتانا اللصوص، ولولا البط في الدار لأتى اللصوص، وقول الرجل: ما شاء الله وشئت، وقول: لولا الله وفلان، لا تجعل فيها فلانًا. هذا كله به شرك، رواه ابن أبي حاتم بإسناد حسن.

فهذا وأشباهه من جنس الشرك الأصغر، وهكذا الحلف بغير الله، كالحلف بالكعبة، والأنبياء والأمانة وحياة فلان، وبشرف فلان ونحو ذلك، فهذا من الشرك الأصغر لما ثبت في المسند بإسناد صحيح عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «من حلف بشيء دون الله فقد أشرك[٢]» وروى الإمام أحمد وأبو داود والترمذي رحمهم الله

---

(١) رواه البخاري: كتاب الأيمان والنذور، باب الحلف بالكعبة، رقم(٣٧٧٣).
(٢) رواه أحمد برقم(٣٣١).

بإسناد صحيح عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك»[(١)].

وهذا يحتمل أن يكون شكًّا من الراوي، ويحتمل أن أو بمعنى الواو، والمعنى فقد كفر وأشرك.

ومن هذا ما رواه الشيخان عن عمر رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: «من كان حالفًا فليحلف بالله أو ليصمت»[(٢)]. والأحاديث في هذا المعنى كثيرة.

وهذه أنواع من الشرك الأصغر، وقد يكون أكبر علىٰ حسب ما يكون في قلب صاحبه، فإذا كان في قلب الحالف بالنبي أو البدوي أو الشيخ فلان، أنه مثل الله، أو أنه يدعىٰ مع الله، أو أنه يتصرف في الكون مع الله أو نحو ذلك، صار شركًا أكبر بهذه العقيدة، أما إذا كان الحالف بغير الله لم يقصد هذا القصد، وإنما جرىٰ علىٰ لسانه من غير هذا القصد لكونه اعتاد ذلك، كان ذلك شركًا أصغر.

وهناك شرك يُقال له: الشرك الخفي ذكر بعض أهل العلم أنه قسم

---

(١) رواه أحمد برقم(٦٠٣٦)، وأبوداود: كتاب الأيمان والنذور، باب في كراهية الحلف بالآباء، رقم(٣٢٥١)، والترمذي: كتاب النذور والأيمان، باب ما جاء في كراهية الحلف بغير الله، رقم(١٥٣٥).

(٢) رواه البخاري: كتاب الشهادات، باب كيف يستحلف، رقم(٢٦٧٩)، ومسلم: كتاب الأيمان، باب النهي عن الحلف بغير الله تعالى، رقم(١٦٤٦).

ثالث، واحتج عليه بقوله ﷺ في حديث أبي سعيد الخدري: أن النبي ﷺ قال: «ألا أنبئكم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال؟» قالوا: بلى يا رسول الله! قال: «الشرك الخفي: يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته لما يرى من نظر رجل إليه[1]» خرَّجه الإمام أحمد.

والصواب: أن هذا ليس قسمًا ثالثًا، بل هو من الشرك الأصغر، وهو قد يكون خفيًا لأنه يقوم بالقلوب، كما في هذا الحديث، وكالذي يقرأ يُرائي، أو يأمر بالمعروف وينهىٰ عن المنكر يُرائي، أو يجاهد يُرائي، أو نحو ذلك.

وقد يكون خفيًا من جهة الحكم الشرعي بالنسبة إلىٰ بعض الناس كالأنواع التي في حديث ابن عباس السابق.

وقد يكون خفيًا وهو من الشرك الأكبر كاعتقاد المنافقين، فإنهم يُراءون بأعمالهم الظاهرة وكفرهم خفيّ، لم يظهروه كما في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ [النساء: ١٤٢ - ١٤٣]، والآيات في كفرهم وريائهم كثيرة، نسأل الله العافية.

---

(١) رواه أحمد برقم(١٠٨٥٩)، وابن ماجه: كتاب الزهد، باب الرياء والسمعة، رقم(٤٢٠٤).

وبما ذكرنا يُعلم أن الشرك الخفيّ لا يخرج عن النوعين السابقين: شرك أكبر، وشرك أصغر، وإن سُمي خفيًا: فالشرك يكون خفيًا ويكون جليًا.

فالجليّ: دعاء الأموات، والاستغاثة بالأموات، والنذر لهم، ونحو ذلك.

والخفيّ: ما يكون في قلوب المنافقين يُصلُّون مع الناس، ويصومون مع الناس، وهم في الباطن كفار يعتقدون جواز عبادة الأوثان والأصنام، وهم على دين المشركين؛ فهذا هو الشرك الخفي الأكبر، لأنه في القلوب.

وهكذا الشرك الخفي الأصغر، كالذي يقصد بقراءته ثناء الناس، أو بصلاته أو بصدقته أو ما أشبه ذلك، فهذا شرك خفي، لكنه شرك أصغر.

فاتضح بهذا أن الشرك شركان: أكبر وأصغر، وكل منهما يكون خفيًا: كشرك المنافقين، وهو أكبر، ويكون خفيًا أصغر كالذي يقوم يُرائي في صلاته أو صدقته أو دعائه لله، أو دعوته إلى الله أو أمره بالمعروف أو نهيه عن المنكر، أو نحو ذلك.

فالواجب علىٰ كل مؤمن أن يحذر ذلك، وأن يبتعد عن هذه الأنواع، ولا سيما الشرك الأكبر، فإنه أعظم ذنب عُصِي الله به، وأعظم جريمة وقع فيها الخلق، وهو الذي قال الله سبحانه وتعالىٰ فيه: ﴿ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام: ٨٨]، وقال فيه سبحانه

وبحمده: ﴿مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ﴾ [المائدة: ٧٢]، وقال فيه سبحانه أيضًا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ١١٦].

فمن مات عليه فهو من أهل النار جزمًا، والجنة عليه حرام، وهو مخلد في النار أبد الآباد نعوذ بالله من ذلك.

أما الشرك الأصغر فهو أكبر من الكبائر، وصاحبه علىٰ خطر عظيم، لكن قد يُمحا عن صاحبه برجحان الحسنات، وقد يعاقب عليه ببعض العقوبات، لكن لا يخلّد في النار خلود الكفّار، فليس هو مما يوجب الخلود في النار، وليس مما يحبط الأعمال، ولكن يحبط العمل الذي قارنه.

فالشرك الأصغر يحبط العمل المقارن له، كمن يصلي يرائي فلا أجر له، بل عليه إثم.

وهكذا من قرأ يرائي فلا أجر له، بل عليه إثم، بخلاف الشرك الأكبر والكفر الأكبر، فإنهما يحبطان جميع الأعمال، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨].

فالواجب علىٰ الرجال والنساء، وعلىٰ العالم والمتعلم، وعلى كل مسلم، أن يُعنىٰ بهذا الأمر ويتبصّر فيه، حتىٰ يعلم حقيقة التوحيد بأنواعه، وحتىٰ يعلم حقيقة الشرك بنوعيه: الأكبر والأصغر، وحتىٰ يبادر بالتوبة الصادقة مما قد يقع من الشرك الأكبر، أو الشرك الأصغر،

وحتى يلزم التوحيد، ويستقيم عليه، وحتىٰ يستمر في طاعة الله، وأداء حقه، فإن التوحيد له حقوق، وهي أداء الفرائض، وترك المناهي، فلا بد مع التوحيد من أداء الفرائض، وترك المناهي، ولا بد أيضًا من ترك الإشراك كله: صغيره وكبيره.

فالشرك الأكبر ينافي التوحيد، وينافي الإسلام كليًا. والشرك الأصغر ينافي كماله الواجب، فلا بد من ترك هذا وهذا.

فعلينا جميعًا أن نُعنىٰ بهذا الأمر، ونتفقه فيه، ونبلغه للناس بكل عناية وبكل إيضاح حتىٰ يكون المسلم علىٰ بينة من هذه الأمور العظيمة.

والله المسؤول عزَّ وجلَّ أن يوفقنا وإياكم للعلم النافع، والعمل الصالح، وأن يمنحنا والمسلمين جميعًا الفقه في دينه والثبات عليه، وأن ينصر دينه ويُعلي كلمته، ويجعلنا وإياكم من الهداة المهتدين، وصلىٰ الله وسلم على نبينا محمد وعلىٰ آله وأصحابه وأتباعه بإحسان إلى يوم الدين.

* * *

ارتكاب الكبائر يؤثر في التوحيد[١]

س: ما حكم ارتكاب بعض المعاصي لا سيما الكبائر وهل يؤثر ذلك في تمسك العبد بالإسلام؟

---

(١) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة (٥/ ٣٣٨).

ج: نعم يؤثر ذلك فإن ارتكاب الكبائر كالزنا وشرب الخمر وقتل النفس بغير حق وأكل الربا والغيبة والنميمة وغير ذلك من المعاصي يؤثر في توحيد الله والإيمان به ويضعفه، ولكن لا يكفر المسلم بشيء من ذلك ما لم يستحله خلافًا للخوارج، فإنهم يكفرون المسلم بفعل المعصية كالزنا والسرقة وعقوق الوالدين وغير ذلك من كبائر الذنوب ولو لم يستحلها، وهذا غلط عظيم من الخوارج، فأهل السنة والجماعة لا يكفرونه بذلك ولا يخلدونه في النار، ولكنهم يقولون هو ناقص الإيمان والتوحيد لكن لا يكفر كفرًا أكبر بل يكون في إيمانه نقص وضعف. ولهذا شرع الله في حق الزاني الحد بالجلد، إذا كان بكرًا يُجلد مائة جلدة ويغرب عاما؛ وهكذا شارب السكر يُجلد ولا يقتل؛ وهكذا السارق تقطع يده ولا يقتل؛ فلو كان الزنا وشرب السكر والسرقة توجب الكفر الأكبر لقتلوا لقول النبي ﷺ: «من بدَّل دينه فاقتلوه[1]» رواه الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه.

فدل ذلك على أن هذه المعاصي ليست ردة، ولكنها تضعف الإيمان وتنقصه، فلهذا شرع الله تأديبهم بهذه الحدود ليتوبوا ويرجعوا إلى ربهم ويرتدعوا عما حرم عليهم ربهم سبحانه؛ وقالت المعتزلة أن العاصي في منزلة بين منزلتين ولكنه يخلد في النار إذا مات عليها، فخالفوا أهل السنة ووافقوا الخوارج في ذلك، وكلتا الطائفتين قد ضلت عن السبيل. والصواب هو القول الأول، وهو قول أهل السنة والجماعة، وهو أنه يكون

---

(١) رواه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب لا يُعذب بعذاب الله، رقم(٣٠١٧).

عاصيًا ضعيف الإيمان وعلىٰ خطر عظيم من غضب الله وعقابه، ولكنه ليس بكافرٍ الكفرَ الأكبر الذي هو الردة عن الإسلام، ولا يخلد في النار أيضًا خلود الكفار إذا مات علىٰ شيء منها، بل يكون تحت مشيئة الله إن شاء غفر له وإن شاء عذبه علىٰ قدر المعاصي التي مات عليها ثم يُخرجه من النار ولا يخلد فيها أبد الآباد إلا الكفار، ثم بعد مُضيٍّ ما حكم الله عليه من العذاب يخرجه الله من النار إلى الجنة، وهذا قول أهل الحق وهذا هو الذي تواترت به الأخبار عن رسول الله ﷺ، خلافًا للخوارج والمعتزلة والله يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء: ٤٨]، فعلق سبحانه ما دون الشرك علىٰ مشيئته عزَّ وجلَّ.

أما من مات على الشرك الأكبر فإنه يخلد في النار والجنة عليه حرام، لقول الله سبحانه: ﴿مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ﴾ [المائدة: ٧٢]، وقال سبحانه: ﴿مَا كَانَ لِلۡمُشۡرِكِينَ أَن يَعۡمُرُواْ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلۡكُفۡرِۚ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ وَفِي ٱلنَّارِ هُمۡ خَٰلِدُونَ﴾ [التوبة: ١٧]، والآيات في هذا المعنىٰ كثيرة.

أما العاصي إذا دخل النار فيبقىٰ فيها إلىٰ ما يشاء الله ولا يخلد خلود الكفار، ولكن قد تطول مدته ويكون هذا خلودًا خاصًا مؤقتا ليس مثل خلود الكفار، كما قال سبحانه في آية الفرقان لما ذكر المشرك والقاتل والزاني قال سبحانه: ﴿وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامٗا ٦٨ يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا﴾ [الفرقان: ٦٨-٦٩]، فهو خلود مؤقت له نهاية.

أما المشرك فخلوده دائم أبد الآباد، ولهذا قال عزَّ وجلَّ في حق

المشركين في سورة البقرة: ﴿ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ [البقرة: ١٦٧]، قال سبحانه في سورة المائدة في حق الكفرة: ﴿ يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾ [المائدة: ٣٧].

* * *

شروط لا إله إلا الله وخطورة الجهل بها(١)

س: يُلاحظ جهل كثير من المحسوبين على الأمَّة الإسلاميَّة بمعنى لا إله إلا الله، وقد ترتَّب على ذلك الوقوع فيما يُنافيها ويُضادّها، أو ينقصها من الأقوال والأعمال، فما معنىٰ لا إله إلا الله؟ وما مقتضاها؟ وما شروطها؟

ج: لا شكَّ أن هذه الكلمة وهي لا إله إلا الله هي أساس الدين، وهي الركن الأول من أركان الإسلام، مع شهادة أنَّ محمدًا رسول الله، كما في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «بُني الإسلام علىٰ خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأنَّ محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزَّكاة، وصوم رمضان، وحجّ البيت»(٢). متفقٌ علىٰ صحته من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

وفي الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ لما بَعث

---

(١) مجموع فتاوى سماحة الشيخ ابن باز (١/ ٢٢٩-٢٣٤).

(٢) رواه البخاري: كتاب الإيمان، باب بُني الإسلام على خمس، رقم(٨)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب بيان أركان الإسلام ودعائمه العظام، رقم(١٦).

معاذًا رضي الله عنه إلىٰ اليمن، قال له: «إنَّك تاتي قومًا من أهل الكتاب، فادعهم إلىٰ أن يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأنِّي رسول الله، فإن أطاعوك لذلك فأعلمْهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في اليوم والليلة، فإن أطاعوك لذلك فأعلمْهم أن الله افترض عليهم صدقة؛ تُؤخذ من أغنيائهم فتردّ في فقرائهم[1]» الحديث متفقٌ عليه، والأحاديث في هذا الباب كثيرة.

ومعنىٰ شهادة أن لا إلٰه إلا الله: لا معبود بحقٍّ إلا الله، وهي تنفي الإلٰهية بحق عن غير الله سبحانه، وتثبتها بالحق لله وحده، كما قال الله عزَّ وجلَّ في سورة الحج: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ [الحج: ٦٢]. وقال سبحانه في سورة المؤمنين: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٧]، وقال عزَّ وجلَّ في سورة البقرة: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣]. وقال في سورة البيِّنة: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة: ٥].

والآيات في هذا المعنىٰ كثيرة، وهذه الكلمة العظيمة لا تنفع قائلها، ولا تُخرجه من دائرة الشرك، إلا إذا عرف معناها وعمل به وصدَّق به.

وقد كان المنافقون يقولونها وهم في الدَّرك الأسفل من النار؛ لأنهم لم يؤمنوا بها ولم يعملوا بها.

---

(١) رواه البخاري: كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة، رقم(١٣٩٥)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام، رقم(١٩).

وهكذا اليهود تقولها ـ وهم من أكفر الناس ـ لعدم إيمانهم بها .

وهكذا عبّاد القبور والأولياء من كفّار هذه الأمة ؛ يقولونها وهم يخالفونها بأقوالهم وأفعالهم وعقيدتهم ، فلا تنفعهم ولا يكونون بقولها مسلمين ؛ لأنهم ناقضوها بأقوالهم وأعمالهم وعقائدهم .

وقد ذكر بعض أهل العلم أن شروطها ثمانية ، جمعها في بيتين فقال :

علـــم يقيـــن وإخـــلاص وصـــدقـــك مـــع
محبـــة وانقيـــاد والقبـــول لهـــا
وزيـــد ثـــامنهـــا الكفـــران منـــك بمـــا
ســـوى الإلـــه مـــن الأشيـــاء قـــد أُلِهـــا

وهذان البيتان قد استوفيا جميع شروطها :

* **الأول: العلم بمعناها المنافي للجهل**، وتقدّم أن معناها لا معبود حق إلا الله ، فجميع الآلهة التي يعبدها الناس سوى الله سبحانه كلها باطلة .

* **الثاني: اليقين المنافي للشكّ**، فلا بد في حق قائلها أن يكون علىٰ يقين بأن الله سبحانه هو المعبود بالحق .

* **الثالث: الإخلاص** وذلك بأن يخلص العبد لربّه سبحانه ـ وهو الله عزّ وجلّ ـ جميع العبادات فإذا صرف منها شيئًا لغير الله من نبيٍّ ، أو وليٍّ ، أو مَلَكٍ ، أو صنم ، أو جني أو غيرها فقد أشرك بالله ، ونقض هذا الشرط ، وهو شرط الإخلاص .

* **الرابع: الصدق**، ومعناه أن يقولها وهو صادق في ذلك ، يطابق قلبه لسانه ، ولسانه قلبه ، فإن قالها باللسان فقط وقلبه لم يؤمن بمعناها فإنها لا تنفعه ،

ويكون بذلك كافرًا كسائر المنافقين.

* **الخامس: المحبة**، ومعناها أن يحبّ الله عزَّ وجلَّ فإن قالها وهو لا يحب الله صار كافرًا لم يدخل في الإسلام كالمنافقين.

ومن أدلّة ذلك قوله تعالىٰ: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران: ٣١]. وقوله سبحانه: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ [البقرة: ١٦٥]. والآيات في هذا المعنىٰ كثيرة.

* **السادس: الانقياد لما دلّت عليه من المعنىٰ**، ومعناها أن يعبد الله وحده وينقاد لشريعته، ويؤمن بها، ويعتقد أنها الحق، فإن قالها ولم يعبد الله وحده، ولم ينقد لشريعته، بل استكبر عن ذلك، فإنه لا يكون مسلمًا كإبليس وأمثاله.

* **السابع: القبول لما دلت عليه**، ومعناه أن يقبل ما دلَّت عليه من إخلاص العبادة لله وحده، وترك عبادة ما سواه، وأن يلتزم بذلك ويرضى به.

* **الثامن: الكفر بما يُعبد من دون الله**، ومعناه أن يتبرَّأ من عبادة غير الله ويعتقد أنها باطلة، كما قال الله سبحانه: ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

وصحَّ عن رسول الله ﷺ أنه قال: **«من قال لا إله إلا الله، وكفر بما يُعبد من دون الله، حَرُم مالُه ودمُه وحسابه على الله»**. وفي رواية عنه ﷺ أنه قال: **«من وحَّد الله، وكفر بما يُعبد من دون الله، حرم ماله**

ودمه»(١). أخرجه مسلم في صحيحه.

فالواجب على جميع المسلمين أن يحققوا هذه الكلمة بمراعاة هذه الشروط، ومتىٰ وجد من المسلم معناها والاستقامة عليه، فهو مسلم حرام الدم والمال؛ وإن لم يعرف تفاصيل هذه الشروط؛ لأن المقصود هو العلم بالحق والعمل به وإن لم يعرف المؤمن تفاصيل الشروط المطلوبة.

والطاغوت هو كل ما عُبد من دون الله، كما قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، ومن كان لا يرضىٰ بذلك من المعبودين من دون الله كالأنبياء والصالحين والملائكة، فإنهم ليسوا بطواغيت، وإنما الطاغوت هو الشيطان الذي دعا إلىٰ عبادتهم وزيَّنها للناس، نسأل الله لنا وللمسلمين العافية من كل سوء.

وأما الفرق بين الأعمال التي تنافي هذه الكلمة ـ وهي لا إلٰه إلا الله ـ والتي تنافي كمالها الواجب، فهو: أن كل عمل أو قول أو اعتقاد يوقع صاحبه في الشرك الأكبر فهو ينافيها بالكلية ويضادُّها؛ كدعاء الأموات، والملائكة، والأصنام، والأشجار، والأحجار، والنجوم ونحو ذلك، والذبح لهم،

---

(١) رواه مسلم: كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، رقم(٢٣).

والنذر والسجود لهم وغير ذلك .

فهذا كلّه ينافي التوحيد بالكليّة، ويضادّ هذه الكلمة ويُبطلها، وهي لا إله إلا الله، ومن ذلك استحلال ما حرَّم الله من المحرَّمات المعلومة من الدين بالضرورة والإجماع؛ كالزنا، وشرب المسكر، وعقوق الوالدين، والربا ونحو ذلك. ومن ذلك أيضًا جحد ما أوجب الله من الأقوال والأعمال المعلومة من الدين بالضرورة والإجماع؛ كوجوب الصلوات الخمس، والزكاة، وصوم رمضان، وبرّ الوالدين، والنطق بالشهادتين ونحو ذلك .

أما الأقوال والأعمال والاعتقادات التي تضعف التوحيد والإيمان، وتنافي كمالها الواجب فهي كثيرة، ومنها الشرك الأصغر؛ كالرياء، والحلف بغير الله، وقول ما شاء الله وشاء فلان، أو هذا من الله ومن فلان ونحو ذلك، وهكذا جميع المعاصي كلها تضعف التوحيد والإيمان وتنافي كمالهما الواجب، فالواجب الحذر من جميع ما ينافي التوحيد والإيمان أو ينقص ثوابهما .

والإيمان عند أهل السنة والجماعة قول وعمل، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، والأدلّة علىٰ ذلك كثيرة؛ أوضحها أهل العلم في كتب العقيدة، وكتب التفسير والحديث، فمن أرادها وجدها والحمد لله .

ومن ذلك قول الله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٤]. وقوله سبحانه: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢]. وقوله سبحانه: ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى﴾ [مريم: ٧٦].

معنى قول المصطفى: «من قال لا إله إلا الله خالصًا من قلبه دخل الجنة»[1]؟

س: هل يكفي تحقيق التوحيد عن العمل؟ وما معنى قوله ﷺ: «من قال لا إله إلا الله خالصًا من قلبه دخل الجنة[2]» جزاكم الله خيرًا.

ج: بسم الله والحمد لله . . نعم حقيقة التوحيد تكون بالإخلاص لله واتباع شريعته، «من قال لا إله إلا الله خالصًا من قلبه دخل الجنة» إذا أدى حقها. فلا يكون مخلصًا إلا إذا أدى حقها، وإذا لم يؤد حقها لا يكون مخلصًا، يكون كلامه ناقصًا.

فإذا قال لا إله إلا الله وهو مصر على الزنى أو على الربا يكون توحيده ناقصًا، وهكذا إذا شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وأن عيسى عبد الله ورسوله . . إلخ، ولكنه مصر على شرب الخمر يكون توحيده ناقصًا فلا بد من أداءها حقها.

ولهذا قال في الحديث الآخر: «إلا بحقها»؛ إلا بحق الإسلام، فلا بد من حقها وهو ترك ما حرم الله وأداء ما أوجب الله، قال عليه الصلاة والسلام: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم إلى الله»[3]، فالصلاة من

---

(١) مجموع فتاوى سماحة الشيخ ابن باز (١/ ٢٢٥، ٢٢٦).

(٢) رواه البخاري: كتاب العلم، باب الحرص على الحديث، رقم(٩٩).

(٣) رواه البخاري: كتاب الصلاة، باب فضل استقبال القبلة، رقم(٣٩٣).

حقها، والزكاة من حقها، وصوم رمضان من حقها .

وهكذا قول رسول الله ﷺ في حديث ابن عمر في الصحيحين : «أُمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وأن يقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام»[(١)].

* * *

نواقص الإسلام[(٢)]

الحمد لله، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه، أما بعد:

فاعلم أيها المسلم أن الله سبحانه، أوجب على جميع العباد الدخول في الإسلام، والتمسك به والحذر مما يخالفه، وبعث نبيه محمدًا ﷺ للدعوة إلى ذلك، وأخبر عزَّ وجلَّ أن من اتبعه فقد اهتدى، ومن أعرض عنه فقد ضل، وحذَّر في آيات كثيرات من أسباب الردة، وسائر أنواع الشرك والكفر، وذكر العلماء رحمهم الله في باب حكم المرتد أن المسلم قد يرتد

---

(١) رواه البخاري: كتاب الإيمان، باب فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة، رقم(٢٥)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، رقم(٢٢).

(٢) فتاوى وتنبيهات ونصائح ص(١٠٢ ـ ١٠٥)، وقد نشر في مجلة البحوث الإسلامية عدد رجب وشعبان ورمضان عام ١٤٠٣هـ.

عن دينه بأنواع كثيرة من النواقض، التي تحل دمه وماله ويكون بها خارجًا من الإسلام، ومن أخطرها وأكثرها وقوعًا عشرة نواقض ذكرها الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب وغيره من أهل العلم رحمهم الله جميعًا، ونذكرها لك فيما يلي على سبيل الإيجاز لتحذرها وتُحذِّر منها غيرك، رجاء السلامة والعافية منها، مع توضيحات قليلة نذكرها بعدها.

* **الأول: من النواقض العشرة:** الشرك في عبادة الله قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء: ١١٦].

وقال تعالى: ﴿ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ [المائدة: ٧٢].

ومن ذلك دعاء الأموات والاستغاثة بهم والنذر والذبح لهم.

* **الثاني: من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم** ويسألهم الشفاعة ويتوكل عليهم فقد كفر إجماعًا.

* **الثالث: من لم يكفر المشركين** أو شك في كفرهم أو صحح مذهبهم كفر

* **الرابع: من اعتقد أن هَدي غير النبي أكمل من هديه،** أو أن حكم غيره أحسن من حكمه، كالذين يفضلون حكم الطواغيت على حكمه، فهو كافر.

* **الخامس: من أبغض شيئًا مما جاء به الرسول** ولو عمل به فقد كفر لقوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ [محمد: ٩].

* **السادس: من استهزأ بشيء من دين الرسول** أو ثوابه أو عقابه كفر والدليل قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ﴾ [التوبة: ٦٥-٦٦].

* **السابع: السحر** ومنه الصرف والعطف فمن فعله أو رضي به كفر والدليل قوله تعالى: ﴿ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ﴾ [البقرة: ١٠٢].

* **الثامن: مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين** والدليل قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [المائدة: ٥١].

* **التاسع: من اعتقد أن بعض الناس يسعه الخروج عن شريعة محمد** فهو كافر لقوله تعالىٰ: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٨٥].

* **العاشر: الإعراض عن دين الله** لا يتعلمه ولا يعمل به والدليل قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴾ [السجدة: ٢٢].

ولا فرق في جميع هذه النواقض بين الهازل والجاد والخائف، إلا المكره، وكلها من أعظم ما يكون خطرًا، وأكثر ما يكون وقوعًا، فينبغي للمسلم أن يحذرها، ويخاف منها علىٰ نفسه. نعوذ بالله من موجبات غضبه وأليم عقابه، وصلىٰ الله علىٰ خير خلقه محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم. انتهى كلامه رحمه الله.

ويدخل في القسم الرابع، من اعتقد أن الأنظمة والقوانين التي يسنها الناس أفضل من شريعة الإسلام أو أنها مساوية لها أو أنه يجوز التحاكم إليها، ولو اعتقد أن الحكم بالشرائع البشرية أفضل أو أن نظام الإسلام لا يصلح تطبيقه في القرن العشرين، أو أنه كان سببًا في تخلف المسلمين أو

أنه يحصر في علاقة المرء بربه، دون أن يتدخل في شئون الحياة الأخرىٰ.

ويدخل في الرابع أيضًا من يرىٰ أن إنفاذ حكم الله في قطع يد السارق، أو رجم الزاني المحصن، لا يناسب العصر الحاضر.

ويدخل في ذلك أيضًا كل من اعتقد أنه يجوز الحكم بغير شريعة الله في المعاملات أو الحدود أو غيرهما، وإن لم يعتقد أن ذلك أفضل من حكم الشريعة، لأنه بذلك يكون قد استباح ما حرمه الله إجماعًا، وكل من استباح ما حرم الله مما هو معلوم من الدين بالضرورة، كالزنا والخمر والربا والحكم بغير شريعة الله فهو كافر بإجماع المسلمين.

ونسأل الله أن يوفقنا جميعًا لما يرضيه وأن يهدينا وجميع المسلمين صراطه المستقيم إنه سميع قريب، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد وآله وصحبه.

* * *

توضيح معنىٰ الشرك بالله[1]

س: ما هو الشرك؟ وما تفسير قوله تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ [المائدة: ٣٥]؟

ج: الشرك علىٰ اسمه؛ هو تشريك غير الله مع الله في العبادة كأن يدعو الأصنام أو غيرها، أو يستغيث بها أو ينذر لها أو يصلي لها أو يصوم لها أو يذبح لها، ومثل أن يذبح للبدوي أو للعيدروس، أو يصلي لفلان، أو يطلب

---

(١) مجموع فتاوى سماحة الشيخ ابن باز (٢/٧٠٣-٧٠٥).

المدد من الرسول ﷺ، أو من عبد القادر، أو من العيدروس في اليمن، أو غيرهم من الأموات والغائبين، فهذا كله يسمىٰ شركًا.

وهكذا إذا دعا الكواكب أو الجن أو استغاث بهم أو طلبهم المدد أو ما أشبه ذلك، فإذا فعل شيئًا من هذه العبادات مع الجمادات أو مع الأموات أو الغائبين صار هذا شركًا بالله عزَّ وجلَّ، قال الله جل وعلا: ﴿ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام: ٨٨]، وقال سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [الزمر: ٦٥].

ومن الشرك أن يعبد غير الله عبادة كاملة، فإنه يسمىٰ شركًا ويسمىٰ كفرًا، فمن أعرض عن الله بالكلية وجعل عبادته لغير الله كالأشجار أو الأحجار أو الأصنام أو الجن أو بعض الأموات من الذين يسمونهم بالأولياء يعبدهم أو يصلي لهم أو يصوم لهم، وينسىٰ الله بالكلية فهذا أعظم كفرًا وأشد شركًا، نسأل الله العافية.

وهكذا من ينكر وجود الله، ويقول ليس هناك إلـه والحياة مادة كالشيوعيين والملاحدة المنكرين لوجود الله؛ هؤلاء أكفر الناس وأضلهم وأعظمهم شركًا وضلالاً ـ نسأل الله العافية ـ والمقصود أن هذه الاعتقادات وأشباهها كلها تسمىٰ شركًا وتسمىٰ كفرًا بالله عزَّ وجلَّ.

وقد يغلط بعض الناس لجهله فيسمِّي دعوة الأموات والاستغاثة بهم وسيلة، ويظنها جائزة وهذا غلط عظيم، لأن هذا العمل من أعظم الشرك بالله، وإن سماه بعض الجهلة أو المشركين وسيلة، وهو دين المشركين

الذين ذمهم الله عليه وعابهم به، وأرسل الرسل وأنزل الكتب لإنكاره والتحذير منه.

وأما الوسيلة المذكورة في قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ ﴾ [المائدة: ٣٥]، فالمراد بها التقرب إليه سبحانه بطاعته، وهذا هو معناها عند أهل العلم جميعًا، فالصلاة قربة إلىٰ الله فهي وسيلة، والذبح لله وسيلة كالأضاحي والهدي، والصوم وسيلة، والصدقات وسيلة، وذكر الله وقراءة القرآن وسيلة، وهذا هو معنىٰ قوله جل وعلا: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ ﴾ [المائدة: ٣٥]. يعني ابتغوا القربة إليه بطاعته، هكذا قال ابن كثير وابن جرير والبغوي وغيرهم من أئمة التفسير، والمعنىٰ التمسوا القربة إليه بطاعته واطلبوها أينما كنتم مما شرع الله لكم، من صلاة وصوم وصدقات وغير ذلك.

وهكذا قوله في الآية الأخرى: ﴿ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ﴾ [الإسراء: ٥٧] هكذا الرسل وأتباعهم يتقربون إلى الله بالوسائل التي شرعها؛ من جهاد وصوم وصلاة وذكر وقراءة قرآن إلى غير ذلك من وجوه الوسيلة، أما ظن بعض الناس أن الوسيلة هي التعلق بالأموات والاستغاثة بالأولياء فهذا ظن باطل، وهذا اعتقاد المشركين الذين قال الله فيهم: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَـٰٓؤُلَآءِ شُفَعَـٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [يونس: ١٨]، فرد عليهم سبحانه بقوله: ﴿ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [يونس: ١٨].

الشرك الأصغر لا يخلد صاحبه في النار[١]

س: يقول السائل: هل الشرك الأصغر ـ وهو الرياء ـ يخلد صاحبه في النار أم لا؟

ج: الشرك الأصغر لا يخلد صاحبه في النار، مثل الكبائر لا يخلد صاحبها في النار، وذلك مثل قول: لولا الله وأنت؛ ما شاء الله وشئت، وكذلك الرياء، والحلف بغير الله. فكل هذا يعد من الشرك الأصغر، ولا يوجب الخلود في النار، ولا يبطل الأعمال، ولكنه محرم، مثل كبائر الذنوب بل أشد من كبائر الذنوب، ولكنه لا يوجب الخلود في النار.

وهذا بالنسبة للرياء في العبادات، والحلف بغير الله، وقول ما شاء الله وشاء فلان، ولولا الله وفلان، فهذا كله يعد من الشرك الأصغر والواجب الحذر منه والبدار بالتوبة منه.

* * *

حول الولاء والبراء[٢]

س: الرجاء من فضيلتكم توضيح الولاء والبراء: لمن يكون؟ وهل يجوز موالاة الكفار؟

ج: الولاء والبراء معناه محبة المؤمنين وموالاتهم وبغض الكافرين

---

(١) فتاوى نور الدرب (١/ ٢٥١).

(٢) مجموع فتاوى سماحة الشيخ ابن باز (٣/ ١٠٢١، ١٠٢٢).

ومعاداتهم والبراءةُ منهم ومن دينهم، هذا هو الولاء والبراء كما قال الله سبحانه في سورة الممتحنة: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ ﴾ [الممتحنة: ٤]. وليس معنى بغضهم وعداوتهم أن تظلمهم أو تتعدى عليهم إذا لم يكونوا محاربين، وإنما معناه أن تبغضهم في قلبك وتعاديهم بقلبك ولا يكونوا أصحاباً لك، لكن لا تؤذيهم ولا تضرهم ولا تظلمهم فإذا سلموا ترد عليهم السلام وتنصحهم وتوجههم إلى الخير كما قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿ ۞ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

وأهل الكتاب هم اليهود والنصارى وهكذا غيرهم من الكفار الذين لهم أمان أو عهد أو ذمة لكن من ظلم منهم يجازى على ظلمه، وإلا فالمشروع للمؤمن الجدال بالتي هي أحسن مع المسلمين والكفار مع بغضهم في الله، للآية الكريمة السابقة ولقوله سبحانه: ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل: ١٢٥]. فلا يتعدى عليهم ولا يظلمهم مع بغضهم ومعاداتهم في الله، ويشرع له أن يدعوهم إلى الله ويعلمهم ويرشدهم إلى الحق لعل الله يهديهم بأسبابه إلى طريق الصواب، ولا مانع من الصدقة عليهم والإحسان إليهم لقول الله عزَّ وجلَّ: ﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ [الممتحنة: ٨]. ولما ثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه أمر أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما أن

تَصِل أمها وهي كافرة في حال الهدنة التي وقعت بين النبي ﷺ وبين أهل مكة عام الحديبية[١].

* * *

حكم سبّ الله ورسوله ﷺ[٢]

س: ما حكم من سبَّ الله أو سبّ رسوله أو انتقصهما؟ وما حكم من جحد شيئًا مما أوجب الله أو استحل شيئًا مما حرّم الله؟ ابسطوا لنا الجواب في ذلك لكثرة وقوع هذه الشرور من كثير من الناس؟

ج: كل من سبّ الله - سبحانه - بأي نوع من أنواع السبّ أو سبَّ الرسول محمَّدًا ﷺ، أو غيره من الرسل بأي نوع من أنواع السبّ، أو سبَّ الإسلام أو تنقَّص أو استهزأ بالله أو برسوله ﷺ؛ فهو كافر مرتد عن الإسلام إن كان يدَّعي الإسلام بإجماع المسلمين لقول الله - عزَّ وجلَّ -: ﴿ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ۝٦٥ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ﴾ [التوبة: ٦٥-٦٦].

وقد بسط العلاَّمة الإمام أبو العباس ابن تيمية - رحمه الله - الأدلةَ في هذه المسألة في كتابة «الصارم المسلول على شاتم الرسول» فمن أراد

---

(١) رواه البخاري: كتاب الهبة وفضلها، باب الهدية للمشركين، رقم(٢٦٢٠)، ومسلم: كتاب الزكاة، باب فضل النفقة والصدقة على الأقربين والزوج، رقم(١٠٠٣).

(٢) تحفة الإخوان ص(٤٧).

الوقوف على الكثير من الأدلة في ذلك فليراجع هذا الكتاب لعظم فائدته، ولجلالة مؤلفه واتّساع علمه بالأدلة الشرعية ـ رحمه الله ـ.

وهكذا الحكم في حقِّ من جحد شيئًا ممَّا أوجبه الله أو استحلَّ شيئًا ممَّا حرَّمه الله من الأمور المعلومة من الدين بالضرورة، كمن جحد وجوب الصلاة أو وجوب الزكاة، أو وجوب صوم رمضان، أو وجوب الحج في حق من استطاع السبيل إليه، أو جحد وجوب برّ الوالدين أو نحو ذلك، ومثل ذلك من استحلّ شرب الخمر أو عقوق الوالدين، أو استحلَّ أموال الناس ودماءهم بغير حق، أو استحلَّ الرِّبا أو نحو ذلك من المحرَّمات المعلومة من الدين بالضرورة وبإجماع سلف الأمة، فإنه كافر مرتدٌّ عن الإسلام إن كان يدَّعي الإسلام بإجماع أهل الأمة، فإنه كافر مرتدٌّ عن الإسلام إن كان يدَّعي الإسلام بإجماع أهل العلم. وقد بسط العلماء ـ رحمهم الله ـ في هذه المسائل وغيرها من نواقض الإسلام في باب حكم المرتد ووضحوا أدلّتها، فمن أراد الوقوف على ذلك فليراجع هذا الباب في كتب أهل العلم من الحنابلة، والشافعية، والمالكية، والحنفية وغيرهم، ليجد ما يشفيه ويكفيه إن شاء الله، ولا يجوز أن يُعذر أحد بدعوى الجهل في ذلك؛ لأن هذه الأمور من المسائل المعلومة بين المسلمين، وحكمها ظاهر في كتاب الله ـ عزَّ وجلَّ ـ وسنة رسوله، ﷺ، والله ولي التوفيق.

* * *

سب الدين في حال الغضب ومراتب الغضب[١]

س: يقول سائل: إذا غضب شخص واشتد به الغضب، وحصل منه سبّ للدين. فما حكمه؟ وإن كان متزوجًا فما حكم زوجته منه إذا كان بهذا قد خرج عن الإسلام؟

ج: هذه مسألة عظيمة ولها شأن خطير، فسبّ الدين من أعظم الكبائر والنواقض للإسلام، فإن سبّ الدين ردّة عند جميع أهل العلم، وهو شر من الاستهزاء، قال الله تعالىٰ: ﴿ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ۝ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ﴾ [التوبة: ٦٥-٦٦].

وكانت جارية في عهد النبي ﷺ تسبّ النبي ﷺ، فقتلها سيدُها لما لم تتب، فقال النبي ﷺ: «ألا اشهدوا إن دمها هدر»[٢].

فسبّ الدين يوجب الردة عن الإسلام، وسبّ الرسول ﷺ كذلك يوجب الردة عن الإسلام، ويكون صاحبه مُهْدَر الدم، وماله لبيت المال، لكونه مرتدًا أتىٰ بناقض من نواقض الإسلام، لكن إذا كان عن شدة غضب واختلاف عقل فله حكم آخر.

والغضب عند أهل العلم له ثلاث مراتب:

* **المرتبة الأولى:** أن يشتد غضبه حتىٰ يفقد عقله، وحتىٰ لا يبقىٰ معه تمييز

---

(١) فتاوى نور على الدرب(٢/ ١٢٣).

(٢) رواه أبوداود: كتاب الحدود، باب الحكم فيمن سب النبي ﷺ، رقم(٤٣٦١)، والنسائي: كتاب تحريم الدم، باب الحكم فيمن سب النبي ﷺ، رقم(٤٠٧٠).

من شدة الغضب، فهذا حكمه حكم المجانين والمعاتيه؛ لا يترتب علىٰ كلامه حكم؛ لا طلاقه، ولا سبّه، ولا غير ذلك، ويكون كالمجنون لا يترتب عليه حكم.

* **المرتبة الثانية:** دون ذلك، أن يشتد معه الغضب ويغلب عليه الغضب جدًا حتىٰ يغير فكره، وحتى لا يضبط نفسه ويستولي عليه استيلاءً كاملاً، حتى يصير كالمكره والمدفوع الذي لا يستطيع التخلص مما في نفسه، لكنه دون الأول، فلم يَزُلْ شعوره بالكلية، ولم يفقد عقله بالكلية، لكن معه شدة غضب بأسباب المسابة والمخاصمة والنزاع بينه وبين بعض الناس كأهله أو زوجته أو ابنه أو أميره أو غير ذلك.

فهذا اختلف فيه العلماء:

فمنهم من قال: حكمه حكم الصاحي وحكم العاقل؛ فتنفذ فيه الأحكام، فيقع طلاقه، ويرتد بسبّه الدين، ويُحكم بقتله ورِدَّته، ويُفرَّق بينه وبين زوجته.

* ومنهم من قال: يُلحق بالأول الذي فقد عقله؛ لأنه أقرب إليه، ولأن مثله مدفوع مكره إلىٰ النطق، لا يستطيع التخلص من ذلك لشدة الغضب؛ وهذا قول أظهر وأقرب، وأن حكمه حكم من فقد عقله في هذا المعنىٰ، أي في عدم وقوع طلاقه، وفي عدم ردته؛ لأنه يشبه فاقد الشعور بسبب شدة غضبه واستيلاء سلطان الغضب عليه، حتىٰ لم يتمكن من التخلص من ذلك.

واحتجوا على هذا بقصة موسىٰ عليه الصلاة والسلام، فإنه لما وجد

قومه على عبادة العجل اشتد غضبه عليهم، وجاء وألقى الألواح وأخذ برأس أخيه يجره إليه من شدة الغضب، فلم يؤاخذه الله لا بإلقاء الألواح، ولا بجر أخيه هارون وهو نبي مثله، ولو ألقاها تهاونًا بها وهو يعقل لكان هذا عظيمًا، ولو جرَّ إنسانٌ النبيَّ بلحيته أو رأسه وآذاه لصار هذا كفرًا. لكن لما كان موسى في شدة الغضب العظيم لله عزَّ وجلَّ على ما جرى من قومه سامحه الله، ولم يؤاخذه بإلقاء الألواح ولا بجر أخيه.

هذه من حجج الذين قالوا: إن طلاق هذا الذي اشتد به الغضب لا يقع، وهكذا سبّه لا تقع به ردّة، وهو قول قوي، وظاهر، وله حجج أخرى كثيرة بسطها شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله والعلامة ابن القيم، واختارا هذا القول.

وهذا القول أرجح عندي وهو الذي أفتي به؛ لأن من اشتد غضبه ينغلق عليه قصده، ويشبه المجنون بتصرفاته وكلامه القبيح، فهو أقرب إلى المجنون والمعتوه منه إلى العاقل السليم، وهذا قول أظهر وأقوى.

ولكن لا مانع من كونه يُؤَدَّب بعض الأدب إذا فعل شيئًا من أسباب الردّة أو من وجوه الردّة، وذلك من باب الحيطة، ومن باب الحذر من التساهل بهذا الأمر، أو وقوعه منه مرة أخرى إذا أُدِّب بالضرب أو بالسجن أو نحو ذلك، وهذا قد يكون فيه مصلحة كبيرة، لكن لا يحكم عليه بحكم المرتدين من أجل ما أصابه من شدة الغضب التي تشبه حال الجنون، والله المستعان.

* **المرتبة الثالثة:** فهو الغضب العادي، الذي لا يزول معه العقل، ولا يكون

معه شدة تضيّق عليه الخناق، وتفقده ضبط نفسه، بل هو دون ذلك، غضب عادي يتكدّر ويغضب، ولكنه سليم العقل سليم التصرف.

فهذا عند أهل العلم تقع تصرفاته، ويقع بيعه وشراؤه وطلاقه وغير ذلك؛ لأن غضبه خفيف لا يغير عليه قصده ولا قلبه. والله أعلم.

* * *

المزاح بألفاظ كفرية[١]

س: المزاح بالفاظ فيها كفر أو فسق أمر موجود في بعض المجتمعات المسلمة، فحبذا لو ألقىٰ سماحتكم الضوء علىٰ هذا الأمر وموقف طلبة العلم والدّعاة منه؟

ج: لا شكَّ أن المزاح بالكذب وأنواع الكفر من أعظم المنكرات، ومن أخطرها ما يكون بين الناس في مجالسهم، فالواجب الحذر من ذلك، وقد حذَّر الله من ذلك بقوله: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾ [التوبة: ٦٥-٦٦].

وقد قال كثير من السلف ـ رحمهم الله ـ إنها نزلت في قوم قالوا فيما بينهم في بعض أسفارهم مع النبي ﷺ: «ما رأينا مثل قرّائنا هؤلاء أرغب بطونًا ولا أكذب ألسنا ولا أجبن عند اللقاء»، فأنزل الله فيهم هذه الآية.

وصحَّ عن النبي ﷺ أنه قال: «ويل للذي يحدّث فيكذب ليضحك به القوم،

---

(١) تحفة الإخوان ص(٤٤).

ويلٌ له ثم ويلٌ له[١]» أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي بإسناد صحيح .

فالواجب علىٰ أهل العلم وعلىٰ جميع المؤمنين والمؤمنات الحذر من ذلك والتحذير منه لما في ذلك من الخطر العظيم والفساد الكبير والعواقب الوخيمة ، عافانا الله والمسلمين من ذلك وسلك بنا وبهم صراطه المستقيم إنه سميع مجيب .

* * *

الاستهزاء بشعائر الإسلام[٢]

س: ظهر في كثير من المجتمعات الإسلامية الاستهزاء بشعائر الدِّين الظَّاهرة: كإعفاء اللِّحىٰ، وتقصير الثياب، ونحوهما، فهل مثل هذا الاستهزاء بالدِّين الذي يُخرج من الملَّة؟ وبماذا تنصحون من وقع في مثل هذا الأمر؟ وفقكم الله.

ج: لا ريب أن الاستهزاء بالله ورسوله وبآياته وبشرعه وأحكامه من جملة أنواع الكفر لقول الله ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ۝٦٥ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ﴾ [التوبة: ٦٥ـ٦٦].

ويدخل في ذلك الاستهزاء بالتَّوحيد، أو بالصلاة، أو بالزَّكاة، أو

---

(١) رواه أحمد برقم(١٩٥٤٢)، وأبوداود: كتاب الأدب، باب في التشديد في الكذب، رقم(٤٩٩٠)، والترمذي: كتاب الزهد، باب فيمن تكلم بكلمة يضحك بها الناس، رقم(٢٣١٥).

(٢) تحفة الإخوان ص(٣٩).

الصيام، أو الحج، أو غير ذلك من أحكام الدين المتَّفق عليها .

أما الاستهزاء بمن يُعفي لحيته أو يُقصِّر ثيابه ويحذر الإسبال أو نحو ذلك من الأمور التي قد تخفىٰ أحكامها، فهذا فيه تفصيل، والواجب الحذر من ذلك، ونصيحة من يُعرف منه شيء من ذلك حتىٰ يتوب إلى الله ـ سبحانه ـ ويلتزم بشرعه، ويحذر الاستهزاء بمن تمسَّك بالشرع في ذلك، طاعة لله ـ عزَّ وجلَّ ـ ورسوله، صلىٰ الله عليه وسلم، وحذرًا من غضب الله وعقابه والردّة عن دينه وهو لا يشعر، نسأل الله لنا وللمسلمين جميعًا العافية من كل سوء إنه خير مسئول .

والله ولي التوفيق .

تكفير المستهزئ بالدين وتارك الصلاة(١)

س: يقول السائل: هل يجوز للمسلم أن يكفر رجلاً مسلمًا لا يصلي الصلوات المكتوبة أو استهزأ بالقرآن؟ فهل يجوز أن تقول لمثل هؤلاء كفار وهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله؟

ج: نعم أيها السائل إذا وجد من يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله وأتىٰ بعمل يقتضي الكفر وجب أن يكفر؛ لأن المسلم يكفر إذا أتىٰ بشيء من نواقض الإسلام، فليس من يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله معصومًا من أن يقع منه مُكفِّر، لا، بل متىٰ وجد منه مكفر كُفِّر به،

(١) فتاوى نور على الدرب (٢/ ١٢٠).

فالذي يستهزئ بالصلاة أو يستهزئ بالصيام أو بشيء مما شرعه الله يكون كافرًا عند جميع العلماء.

فقد ذكر العلماء ذلك في باب حكم المرتد فينبغي لك إذا كنت طالب علم أن تراجع كلام أهل العلم، وإلا فلتعلم أن هذا كفر وضلال وردة عن الإسلام كما قال الله جل وعلا: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ۝٦٥ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٥-٦٦].

وهكذا الذي يترك الصلاة عمدًا ولا يصلي كافرٌ أيضًا في أصح قولي العلماء، وإن لم يجحد وجوبها، متى تركها تهاونًا وتكاسلاً فإنه يكفر بذلك في أصح قولي العلماء؛ لقول النبي عليه الصلاة والسلام: «رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة»[(١)] فمن ترك عمود الإسلام كفر.

ولقوله عليه الصلاة والسلام فيما رواه مسلم في الصحيح: «بين الرجل وبين الكفر والشرك ترك الصلاة»[(٢)].

ولقوله عليه الصلاة والسلام أيضًا: «العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر»[(٣)] هذا هو الصواب من أقوال أهل العلم، وقال بعض

---

(١) رواه أحمد برقم(٢١٥١١)، والترمذي: كتاب الإيمان، باب ما جاء في حرمة الصلاة، رقم(٢٦١٦)، وابن ماجه: كتاب الفتن، باب كف اللسان في الفتنة، رقم(٣٩٧٣).

(٢) رواه مسلم: كتاب الإيمان، باب إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة، رقم(٨٢).

(٣) رواه أحمد برقم(٢٢٤٢٨)، والترمذي: كتاب الإيمان، باب ما جاء في ترك =

أهل العلم: إنه لا يكفر كفرًا أكبر بل كفره كفر أصغر ما لم يجحد وجوبها، فإن جحد وجوبها كفر بالإجماع، أما ما دام يعلم أنها فريضة ولكن يغلب عليه الكسل والتساهل فلا يصلي فلا يكفر بذلك عند جمع من أهل العلم، ولكن يكون عاصيًا معصية عظيمة أعظم من معصية الزنا وشرب الخمر ونحو ذلك، ويكون كافرًا كفرًا دون كفر. هذا قول جمع من أهل العلم.

والصواب القول الأول: إنه كافر كفرًا أكبر للأحاديث السابقة ولأدلة أخرىٰ دلت علىٰ ذلك.

فالواجب علىٰ أهل الإسلام الحذر من ذلك والمحافظة علىٰ الصلوات والعناية بها، والعناية بأدائها في الجماعة، هذا هو الواجب علىٰ كل مسلم.

وليس قوله أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله عاصمًا من تكفيره إذا وجد منه ناقض من نواقض الإسلام كما عرفت أيها السائل، فإن الاستهزاء بالدين كفر بالإجماع ولو قال أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وهكذا لو أنكر البعث بعد الموت أو أنكر الجنة أو أنكر النار كفر بإجماع المسلمين ولو قال أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله؛ لأن إنكاره لهذه الأمور تكذيب للرسول ﷺ وتكذيب لله فيما

= الصلاة، رقم(٢٦٢١)، والنسائي: كتاب الصلاة، باب الحكم في تارك الصلاة، رقم(٤٦٣)، وابن ماجه: كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما جاء فيمن ترك الصلاة، رقم(١٠٧٩).

أخبر في كتابه، وهكذا لو سب الدين أو سب الله أو سب الرسول ﷺ كفر بالإجماع ولو أتىٰ بالشهادتين، وهكذا لو قال: إن صوم رمضان غير واجب أو الزكاة مع توافر شروطها غير واجبة أو الحج مع الاستطاعة غير واجب، كفر بالإجماع.

فينبغي لك أيها السائل وينبغي لكل مسلم التنبه لهذه الأمور والحذر من كل ما يسبب الكفر والخروج عن دائرة الإسلام، وينبغي للمؤمن أيضًا أن يتفقه في دينه ويتبصر وأن يحذر الوقوع فيما حرم الله عليه وهو لا يشعر؛ ولا حول ولا قوة إلا بالله.



حكم السحر والسحرة وبيان علاج المسحور[1]

س: كثر في هذا العصر تعاطي السحر وإتيان السَّحرة، فما حكم ذلك؟ وما الطريقة المباحة لعلاج المسحور؟

ج: السحر من أعظم الكبائر الموبقات، بل هو من نواقض الإسلام، كما قال الله -عزَّ وجلَّ- في كتابه الكريم: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ

---

(١) تحفة الإخوان ص(٤٨).

وَزَوْجِهِۦۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌۖ لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٠٢-١٠٣].

فأخبر - سبحانه - في هاتين الآيتين أن الشياطين يعلّمون الناس السحر وأنهم كفروا بذلك، وأنّ الملكين ما يعلّمان من أحدٍ حتىٰ يُخبراه أن ما يعلمانه كفر وأنهما فتنة.

وأخبر - سبحانه - أن متعلمي السحر يتعلّمون ما يضرّهم ولا ينفعهم، وأنّهم ليس لهم عند الله من خلاق في الآخرة، والمعنىٰ ليس لهم حظّ ولا نصيب من الخير في الآخرة.

وبيَّن - سبحانه - أن السحرة يفرّقون بين المرء وزوجه بهذا السحر وأنهم لا يضرّون أحدًا إلا بإذن الله، المراد بذلك إذنه الكونيّ القدريّ لا إذنه الشرعيّ؛ لأن جميع ما يقع في الوجود يكون بإذنه القدريّ ولا يقع في ملكه ما لا يريده كونًا وقدرًا، وبيَّن - سبحانه - أن السحر ضد الإيمان والتّقوىٰ.

وبهذا كلِّه يُعلم أن السّحر كفر وضلال وردّة عن الإسلام إذا كان من فعله يدّعي الإسلام، وفي الصحيحين عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ، أنه قال: «واجتنبوا السّبع الموبقات» قلنا: وما هُنَّ يا رسول الله؟ قال: «الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرَّم الله إلا بالحق، وأكل الرِّبا، وأكل مال اليتيم، والتولِّي يوم الزَّحف، وقذف المحصنات

المؤمنات الغافلات[١]» فبيَّن النبي ﷺ في هذا الحديث الصحيح أن الشرك والسحر من السَّبع الموبقات أي: المهلكات؛ والشرك أعظمها؛ لأنه أعظم الذنوب، والسحر من جملته ولهذا قرنه الرسول ﷺ به؛ لأن السحرة لا يتوصَّلون إلى السحر إلا بعبادة الشياطين والتقرُّب إليهم بما يحبون من الدعاء، والذبح، والنذر، والاستعانة وغير ذلك.

روىٰ النسائي ـ رحمه الله ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ، أنه قال: «منْ عقد عقدة ثم نفث فيها فقد سحر، ومن سحر فقد أشرك، ومن تعلَّق شيئًا وُكِّلَ إليه»[٢]. وهذا يفسر قوله تعالى في سورة الفلق: ﴿ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴾ [الفلق: ٤]، قال أهل التفسير: إنهن السَّاحرات اللاتي يعقدن العقد وينفثن فيها بكلمات شركيَّة يتقرَّبن بها إلى الشياطين لتنفيذ مرادهم في إيذاء الناس وظلمهم.

وقد اختلف العلماء في حكم السَّاحر، هل يُستتاب وتقبل توبته؟ أم يقتل بكل حال ولا يُستتاب إذا ثبت عليه السحر؟ والقول الثاني: هو الصواب؛ لأن بقاءه مضرّ بالمجتمع الإسلامي والغالب عليه عدم الصدق في التوبة؛ ولأن في بقائه خطرًا كبيرًا على المسلمين، واحتجَّ أصحاب هذا القول على

---

(١) رواه البخاري: كتاب الوصايا، باب قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ﴾، رقم(٢٧٦٧)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها، رقم(٨٩).

(٢) رواه النسائي: كتاب تحريم الدم، باب الحكم في السحرة، رقم(٤٠٧٩).

ما قالوه: بأن عمر - رضي الله عنه - أمر بقتل السحرة ولم يستتبهم وهو ثاني الخلفاء الراشدين الذين أمر الرسول ﷺ، باتباع سنَّتهم.

واحتجوا أيضًا بما رواه الترمذي - رحمه الله - عن جندب بن عبد الله البجلي أو عن جندب الخير الأزدي مرفوعًا وموقوفًا: «حدّ الساحر ضربه بالسيف[(١)]» وقد ضبطه بعض الرواة بالتاء، فقال: «حدّ الساحر ضربة بالسيف»[(٢)]. والصحيح عند العلماء وقفه على جندب.

وصحَّ عن حفصة أم المؤمنين - رضي الله عنها - أنها أمرت بقتل جارية لها سحرتها فقُتلت من غير استتابة[(٣)]. قال الإمام أحمد - رحمه الله - ثبت ذلك - يعني قتل الساحر - من غير استتابة عن ثلاثة من أصحاب النبي ﷺ يعني بذلك: عمر، وجندبا، وحفصة.

ومما ذكرنا يُعلم أنه لا يجوز إتيان السحرة وسؤالهم عن شيء ولا تصديقهم، كما لا يجوز إتيان العرّافين والكهنة، وأن الواجب قتل الساحر متى ثبت تعاطيه السّحر بإقراره أو بالبينة الشرعية من غير استتابة.

أما العلاج للسحر فيعالج بالرقى الشرعية والأدوية النافعة المباحة، ومن أنفع العلاج علاج المسحور بقراءة الفاتحة عليه مع النفث وآية الكرسي، وآيات السحر في الأعراف، ويونس، وطه، وبقراءة: ﴿قُلْ يَتَأَيُّهَا

---

(١) انظر فتح الباري: (١٠/ ٢٣٦).
(٢) رواه الترمذي: كتاب الحدود، باب ما جاء في حد الساحر، رقم(١٤٦٠).
(٣) الموطأ: كتاب العقول، باب ما جاء في الغيلة والسحر، رقم(١٦٢٤).

﴿ٱلْكَٰفِرُونَ﴾، و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ ويستحبّ تكرار هذه السور الثلاث ثلاث مرات مع الدعاء الصحيح المشهور الذي كان يدعو به النبي ﷺ لعلاج المرضى وهو: «اللهم ربَّ الناس اذهب البأس واشف أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك، شفاء لا يغادر سقمًا[1]» ويكرر ذلك ثلاثًا.

ويدعو أيضًا بالرّقية التي رقى بها جبرائيل النبي ﷺ، وهي: «بسم الله أرقيك، من كلّ شيء يؤذيك، ومن شر كل نفس أو عين حاسد، الله يشفيك، بسم الله أرقيك»[2]. ويكررها ثلاثًا وهذه الرقية من أنفع العلاج بإذن الله سبحانه.

ومن العلاج أيضًا إتلاف الشيء الذي يظن أنه عمل فيه السحر من صوف أو خيوط معقّدة أو غير ذلك مما يُظنُّ أنه سبب السحر، مع العناية من المسحور بالتعوُّذات الشرعية، ومنها التعوذ بكلمات الله التَّامَّات من شرِّ ما خلق، ثلاث مرات صباحًا ومساءً، وقراءة السور الثلاث المتقدمة بعد الصبح والمغرب ثلاث مرّات، وقراءة آية الكرسي بعد الصلاة وعند النوم.

ويستحبّ أن يقول صباحًا ومساءً: «بسم الله الذي لا يضرّ مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم» ثلاث مرات، لصحة

---

(١) رواه البخاري: كتاب الطب، باب رقية النبي ﷺ، رقم(٥٧٤٣)، ومسلم: كتاب السلام، باب استحباب رقية المريض، رقم(٢١٩١).

(٢) رواه مسلم: كتاب السلام، باب الطب والمرض والرقى، رقم(٢١٨٦).

ذلك كلّه عن النبي ﷺ، مع حسن الظنّ بالله والإيمان بأنه سبب الأسباب، وأنه هو الذي يشفي المريض إذا شاء، وإنما التعوّذات والأدوية أسباب، والله ـ سبحانه ـ هو الشافي، فيعتمد على الله سبحانه وحده دون الأسباب، ولكن يعتقد أنها أسباب إن شاء الله نفع بها، وإن شاء سلبها المنفعة لما له ـ سبحانه ـ من الحكمة البالغة في كل شيء، وهو ـ سبحانه ـ على كل شيء قدير، وبكل شيء عليم، لا مانع لما أعطىٰ، ولا مُعطي لما منع، ولا رادَّ لما قضىٰ، له الملك وله الحمد وهو علىٰ كل شيء قدير، وهو سبحانه ولي التوفيق.

* * *

حكم التداوي عند السحرة والكهنة والعرافين[1]

س: سماحة الشيخ: هل يجوز التداوي عند الساحر أو الكاهن؟ وهل هذا يعد من الشرك المحبط للعمل أم لا؟

ج: لا يجوز التداوي من السحرة والكهنة؛ لأن النبي ﷺ نهى عن إتيان الكهنة والسحرة. قال ﷺ: «لا تاتوهم[2]» وقال عليه الصلاة والسلام: «من أتىٰ عرافًا فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين يومًا[3]» رواه مسلم

---

(١) فتاوى نور على الدرب (٢/ ١٤١).

(٢) رواه أحمد برقم(٢٣٢٥٠)، والنسائي: كتاب السهو، باب الكلام في الصلاة، رقم(١٢١٨).

(٣) رواه مسلم: كتاب السلام، باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان، رقم(٢٢٣٠).

في الصحيح .

والعـرّاف يطلـق علـىٰ الكـاهـن ، والمنجـم ، والسـاحـر ، والـرَّمَّـال وأشباههم . وقال ﷺ : «من أتىٰ كاهنًا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أُنزل علىٰ محمد[1]» عليه الصلاة والسلام ، وقال عليه الصلاة والسلام : «ليس منا من سحر أو سُحر له ، وليس منا من تكهَّن أو تُكهِّن له»[2] .

فلا ينبغي للمؤمن أن يأتي العرافين ، ولا الكهنة ، ولا المنجمين ، بل يحذرهم غاية الحذر ، ولا يجوز سؤالهم ولا تصديقهم ؛ فسؤالهم منكر وليس من الشرك ، وتصديقهم بأنهم يعلمون الغيب فهذا كفر أكبر ؛ لأن علم الغيب إلىٰ الله سبحانه وتعالىٰ ، ومن زعم أن أحدًا يعلم الغيب غير الله سبحانه من نبي أو غيره فهو كافر ؛ لأن علم الغيب إلىٰ الله سبحانه وتعالىٰ ، قال تعالىٰ : ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥]، الغيب عنده سبحانه وتعالىٰ ليس إلىٰ غيره .

❊ ❊ ❊

الطريقة الشرعية لإبطال السحر[3]

س: ما هو العمل لإبطال السحر بارك الله فيكم؟

ج: بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة

---

(١) رواه أحمد برقم(٩٢٥٢).

(٢) المطالب العالية (١١/ ١٨٩).

(٣) فتاوى نور على الدرب (١/ ٢١٢).

للمتقين، والصلاة والسلام على عبده ورسوله، وخيرته من خلقه، وأمينه على وحيه، نبينا وإمامنا وسيدنا محمد بن عبد الله، وعلى آله وأصحابه، ومن سلك سبيله واهتدى بهداه إلى يوم الدين... أما بعد:

فعلاج السحر يكون بشيئين:

أحدهما: الرقى الشرعية.

والثاني: الأدوية المباحة التي جربت في علاجه.

ومن أنجع العلاج وأنفع العلاج الرقى الشرعية، فقد ثبت أن الرقية يرفع الله بها السحر، ويبطل بها السحر.

وهناك نوع ثالث وهو: العثور على ما فعله الساحر من عُقد أو غيرها، وإتلافها، كذلك من أسباب زوال السحر وإبطاله.

فمن الرقى التي تستعمل أن يُرقى المسحور بفاتحة الكتاب، وآية الكرسي، و﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ مع آيات السحر التي جاءت في سورة الأعراف، وسورة يونس، وسورة طه، وهي قوله سبحانه في سورة الأعراف: ﴿۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ﴾ [الأعراف: ١١٧-١١٩]، وفي سورة يونس يقول سبحانه: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِى بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [يونس: ٧٩-٨٢].

وفي سورة طه يقول سبحانه: ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنۡ أَلۡقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلۡ أَلۡقُواْۖ فَإِذَا حِبَالُهُمۡ وَعِصِيُّهُمۡ يُخَيَّلُ إِلَيۡهِ مِن سِحۡرِهِمۡ أَنَّهَا تَسۡعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوۡجَسَ فِي نَفۡسِهِۦ خِيفَةٗ مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلۡنَا لَا تَخَفۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلۡقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلۡقَفۡ مَا صَنَعُوٓاْۖ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيۡدُ سَٰحِرٖۖ وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيۡثُ أَتَىٰ﴾ [طه: ٦٥-٦٩].

هذه الآيات الكريمات العظيمات يُنفث بها في الماء، ثم بعد ذلك يصب هذا الماء الذي قرأت فيه على ماء أكثر، ثم يغتسل به المسحور، ويشرب منه بعض الشيء، كثلاث حسوات يشربها منه، ويزول السحر بإذن الله ويبطل، ويُعافى من أصيب بذلك، وهذا مجرب مع المسحورين، جربناه نحن وغيرنا ونفع الله به من أصابه شيء من ذلك.

وقد يوضع في الماء سبع ورقات خضر من السدر تدق وتُلقى في الماء الذي يقرأ فيه، ولا بأس بذلك، وقد ينفع الله بذلك أيضًا، والسدر معروف وهو شجر النبق.

وهناك أدوية لمن يتعاطى هذا الشيء، ويعالج بهذا الشيء، أدوية مباحة قد يستفاد منها في علاج السحر وإزالته كما أشار إلى هذا العلامة ابن القيم رحمه الله في بيان النشرة المشروعة، وقد ذكر ذلك أيضًا الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ في كتابه «فتح المجيد في شرح كتاب التوحيد»، في باب ما جاء في النشرة.

أما ما يتعلق بإتيان الكهان، أو السحرة، والمشعوذين فهذا لا يجوز، وإنما الطريق الشرعي هو ما ذكرناه من القراءة على المسحور، أو القراءة

في ماء ويشربه ويغتسل منه، وإن وضع فيه سبع ورقات من السدر الأخضر الرطبة ودقت فهذا أيضًا قد ينفع بإذن الله مع القراءة، وهذا شيء مجرب كما تقدم.

والغالب علىٰ من استعمل هذا مع إخلاصه لله وتوجهه إلىٰ الله بطلب الشفاء أنه يعافىٰ بإذن الله، وعلىٰ المسحور أن يضرع إلىٰ الله وأن يسأله كثيرًا أن يشفيه ويعافيه، وأن يصدق في طلبه، وأن يعلم أن ربه هو الذي يشفيه، وهو الذي بيده الضر والنفع، والعطاء والمنع وليس بيد غيره سبحانه وتعالىٰ.

* * *

حول نصيحة من كفر بالله[1]

س: يقول السائل: إذا كفر أحد الأشخاص بالله وبالرسول ﷺ فهل يحرم علىٰ الشخص أن يقول له: استغفر الله؟

ج: من كفر فإن الواجب علىٰ من حوله من المسلمين أن ينصحه، وأن ينبهه علىٰ ما فعل، ويبين له سوء عمله، ويأمره بأن يستدرك أمره ويتوب إلىٰ الله مما فعل، هذا هو المشروع والواجب، لقول النبي ﷺ: «من رأىٰ منكم منكرًا فليغيره بيده...»[2] الحديث.

---

(١) فتاوى نور على الدرب (٢/ ١٢٧).

(٢) رواه مسلم: كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، رقم(٤٩).

ولأن هذا من الدعوة إلى الله، ومن النصيحة لعباد الله، وقد قال النبي ﷺ: «من دلَّ على خير فله مثل أجر فاعله[١]» وأعظم الخير الدلالة على الإسلام والدعوة إلى التوبة من المعاصي ومن الردة، هذا هو أعظم الخير، وقال عليه الصلاة والسلام لعلي رضي الله عنه: «لأن يهدي الله بك رجلاً واحدًا خيرٌ لك من حمر النَّعَم[٢]» فكونه ينصحه ويوجهه ويقول له: استغفر الله، تب إلى الله، هذه جريمة عظيمة، هذا منكر عظيم، هذا كفر، هذا ضلال لعله يرجع فيتوب، فهذا خير عظيم وعمل صالح.

* * *

التحذير من النفاق وأهله[٣]

س: في هذا الزمان عَظُمَ النفاق وكثر أهله، وتعدَّدت وسائله في محاربة الإسلام والمسلمين، فحبذا لو ألقيتم الضّوء على خطر النفاق مع بيان أنواعه، وذكر صفة أهله وتحذير المسلمين منهم؟

ج: النفاق خطره عظيم، وشرور أهله كثيرة، وقد أوضح الله صفاتهم في كتابه الكريم في سورة البقرة وغيرها، كما أوضح صفاتهم أيضًا نبيه

---

(١) رواه مسلم: كتاب الإمارة، باب فضل إعانة الغازي في سبيل الله، رقم(١٨٩٣).

(٢) رواه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب فضل من أسلم على يديه رقم، رقم(٣٠٠٩)، ومسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه، رقم(٢٤٠٦).

(٣) تحفة الإخوان ص(٥٣ ـ ٥٥).

ﷺ. قال الله سبحانه في وصفهم في سورة البقرة: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴾ [البقرة: ٨-١٠]، والآيات بعدها. وقال في سورة النساء: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ [النساء: ١٤٢-١٤٣]. وذكر عنهم صفات أخرى في سورة التوبة وغيرها.

والخلاصة أنهم يدّعون الإسلام، ويتخلّقون بأخلاق تخالفه، وتضرّ أهله، كما بيّن سبحانه في هذه الآيات وغيرها.

النفاق نوعان: اعتقادي وعملي:

وما ذكر الله عن المنافقين في سورة البقرة والنساء من صفات المنافقين النفاق الاعتقادي الأكبر، وهم بذلك أكفر من اليهود والنصارى وعبّاد الأوثان، لعظم خطرهم وخفاء أمرهم على كثير من الناس، وقد أخبر الله عنهم سبحانه أنهم يوم القيامة في الدَّرك الأسفل من النار.

أما النفاق العملي فهو التخلّق ببعض أخلاقهم الظاهرة، مع الإيمان بالله وبرسوله والإيمان باليوم الآخر؛ كالكذب، والخيانة، والتكاسل عن الصلاة في الجماعة، ومن صفاتهم ما ثبت في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «آية المنافق ثلاث: إذا حدّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن

خان[١]» وقوله ﷺ: «أثقل الصَّلاة على المنافقين صلاة العشاء وصلاة الفجر، ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبوًا»[٢]. والآيات والأحاديث في هذا المعنىٰ كثيرة.

فالواجب علىٰ كل مؤمن ومؤمنة أن يحذر صفاتهم غاية الحذر، وممَّا يعين علىٰ ذلك تدبّر ما ذكره الله في كتابه من صفاتهم، وما صحَّت به السنة عن رسول الله ﷺ في ذلك.

والله المسؤول أن يوفِّقنا وجميع المسلمين للفقه في دينه، والثبات عليه، والحذر من كل ما يخالف شرعه، ومن التشبّه بأعدائه في أخلاقهم وأعمالهم، إنه خير مسؤول.

❊ ❊ ❊

القبوريون والعبادة[٣]

س: يقال: إن المشركين الأولين كانوا يعترفون بأنهم ما يعبدون آلهتهم إلا ليقربوهم إلىٰ الله، وكانوا يعبدون أصنامًا، فكيف تحكمون علىٰ من تسمونهم بالقبوريين بالشرك، وهم لا يعبدون أصنامًا، ولا قالوا إنهم

---

(١) رواه البخاري: كتاب الإيمان، باب علامة المنافق، رقم(٣٣)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب بيان خصال المنافق، رقم(٥٩).

(٢) رواه البخاري: كتاب الأذان، باب فضل العشاء في الجماعة، رقم(٦٥٧)، ومسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل صلاة الجماعة، رقم(٦٥١).

(٣) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة (٣/ ١٣٦).

يعبدون، ولكنهم يتبركون؟

ج: العبادة ليست تعرف بآراء الناس وإنما هي بحكم الله عزَّ وجلَّ، فالمشركون الأولون معبوداتهم أقسام، منهم من يعبد الأصنام، ومنهم من يعبد الأنبياء، ومنهم من يعبد الصالحين، ومنهم من يعبد الأشجار والأحجار، ومنهم من يعبد غير ذلك؛ فليسوا على حد سواء.

وقد كفرهم الله جميعًا حتى يدخلوا في دين الله، وحتى يعبدوا الله وحده، قال تعالى: ﴿ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ٨٠]، فجعل عبَّاد النبيين والملائكة كفارًا، إذا لم ينصاعوا إلى الحق، ومعلوم أن أهل الطائف يعبدون اللات، وهو رجل صالح فكفرهم الله، حتى دخلوا في الإسلام، وقاتلهم النبي ﷺ حتى دخلوا في الإسلام.

وهكذا النصارى يعبدون المسيح، ويعبدون أمه، والمسيح نبي، وأمه صديقة، وهم كفار بذلك.

وهكذا اليهود عبدوا أحبارهم ورهبانهم، وعبدوا عزيرًا، وقالوا: إنه ابن الله، وهم كفار بذلك.

والله جل وعلا قال في محكم التنزيل: ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾ [الإسراء: ٥٦ ـ ٥٧]، أخبر سبحانه عن بعض المشركين أنهم يعبدون ناسًا صالحين يبتغون إلى ربهم الوسيلة، ويرجون رحمته،

ويخافون عذابه، فأنكر عبادتهم من دون الله، وبين أنهم لا يملكون كشف الضر عن عابديهم ولا تحويله.

وقد قال علماء التفسير في هذه الآية: إنها نزلت في المسيح وأمه والعزير، وفي كل رجل صالح أو نبي.

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: إنها نزلت في أناس من الإنس، كانوا يعبدون ناسًا من الجن، فأسلم الجن، وتمسك الإنس بعبادتهم.

فالحاصل أنها نزلت في الصالحين والأنبياء، وكفر الله عابديهم بذلك، وأخبر أنهم لا يملكون كشف الضر عن عابديهم ولا تحويله.

وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١٣ - ١٤]، فسمى دعاءهم لهم شركًا، مع أنهم لم يدعوهم إلا لأنهم شفعاء، ما دعوهم لأنهم يملكون الضر والنفع، أو يخلقون أو يرزقون، بل قال الله عنهم: إنهم قالوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣]، وقالوا: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ١٨]، فكفرهم بذلك، وهم لم يعتقدوا إلا أنهم شفعاء ومقربون، ولم يزعموا أنهم يخلقون أو يرزقون، أو ينفعون أو يضرون.

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٧]، سماهم كفارًا وهم ما عبدوهم لأنهم ينفعون أو يضرون، أو يستقلون بجلب النفع، أو دفع

الضر ، أو يخلقون وإنما عبدوهم لأنهم بزعمهم يقربونهم إلى الله زلفىٰ ، ويشفعون لهم عنده .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَـٰفِلُونَ ۝ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَـٰفِرِينَ ﴾ [الأحقاف: ٥-٦]، فهذه عامة للأنبياء والصالحين وغيرهم .

والمقصود أن أهل العلم قاطبة ، قد أجمعوا علىٰ أن من عبد غير الله ؛ صنمًا أو نبيًّا أو صالحًا أو جنيًّا أو غير ذلك ، فهو كافر مطلقًا ، ولو كان المعبود نبيًّا أو صالحًا ، وهذا إجماع أهل العلم قاطبة ، والأدلة على ذلك من قول الله عزَّ وجلَّ ، وقول رسوله ﷺ واضحة ، وقد تقدم بعضها ، والله جل وعلا ولي التوفيق .

* * *

التبرك بالأموات(١)

وأما قول السائل: أولئك قالوا ما نعبدهم إلا ليقربونا، فاعترفوا بالعبادة ولكن هؤلاء المتاخرين ما يقولون إنهم يعبدونهم، ولكن يقولون إنهم يتبركون بهم.

فالجواب: أن يقال : الاعتبار بالحقائق والمعنىٰ لا باختلاف الألفاظ ، فإذا قالوا : ما نعبدهم وإنما نتبرك بهم ، لم ينفعهم ذلك ، ما داموا فعلوا فعل المشركين من قبلهم ، وإن لم يسموا ذلك عبادة ، بل سموه توسلاً أو تبركًا ،

---

(١) مجموع فتاوى سماحة الشيخ ابن باز (٢/ ٧١٠، ٧١١).

فالتعلق بغير الله، ودعاء الأموات والأنبياء والصالحين والذبح لهم أو السجود لهم، أو الاستغاثة بهم، كل ذلك عبادة ولو سموها خدمة، أو سموها غير ذلك، لأن العبرة بالحقائق لا بالأسماء كما تقدم.

ومن هذا القبيل قول الجماعة الذين خرجوا مع النبي ﷺ إلى حنين لما رأوا المشركين يعلقون أسلحتهم علىٰ سدرة. قالوا: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فقال النبي ﷺ: «الله أكبر قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسىٰ: اجعل لنا إلٰهًا كما لهم آلهة»[(١)].

فجعل المقالة واحدة، مع أن هؤلاء قالوا: اجعل لنا ذات أنواط، فجعل قولهم مثل قول بني إسرائيل، لأنَّ العبرة بالمعنىٰ والحقائق، لا بالألفاظ.

* * *

حكم طلب الشفاعة من النبي ﷺ[(٢)]

س: يقول السائل: كثير من الناس يقولون: الشفاعة يا محمد. فهل هذا القول شرك؟

ج: طلب الشفاعة من النبي ﷺ أو من غيره من الأموات لا يجوز، وهو شرك أكبر عند أهل العلم؛ لأنه لا يملك شيئًا بعدما مات عليه الصلاة

---

(١) رواه أحمد برقم(٢١٣٩٣)، والترمذي: كتاب الفتن، باب ما جاء لتركن سنن من كان قبلكم، رقم(٢١٨٠).

(٢) فتاوى نور على الدرب (٢/ ١٥٠).

والسلام، والله يقول: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًاۖ﴾ [الزمر: ٤٤].

فالشفاعة ملكه سبحانه وتعالىٰ، والنبي ﷺ وغيره من الأموات لا يملكون التصرف بعد الموت في شفاعة ولا في دعاء ولا في غير ذلك، الميت إذا مات انقطع عمله إلا من ثلاث «صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له[1]» وإنما جاء أنها تعرض عليه الصلاة والسلام ولهذا قال: «صلُّوا عليَّ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم»[2].

وأما حديث إنه تُعرض عليه الأعمال فما وجد فيها من خير حمد الله وما وجد فيها من شر استغفر لنا؛ فهذا حديث ضعيف لا يصح عن النبي ﷺ، ولو صح لم يكن فيه دلالة على أننا نطلب منه الشفاعة.

فالحاصل أن طلب الشفاعة من النبي ﷺ أو من غيره من الأموات أمر لا يجوز، وهو علىٰ القاعدة الشرعية من الشرك الأكبر؛ لأنه طلب من الميت شيئًا لا يقدر عليه، كما لو طلب منه شفاء المريض أو النصر علىٰ الأعداء أو غوث المكروبين أو ما أشبه ذلك، فكل هذا من أنواع الشرك الأكبر، ولا فرق بين طلب هذا من النبي ﷺ، أو من الشيخ عبد القادر، أو من فلان أو فلان، أو من البدوي أو من الحسين أو غير ذلك؛ طلب هذا من الموتىٰ أمر لا يجوز، وهو من أقسام الشرك.

---

(١) رواه مسلم: كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، رقم(١٦٣١).

(٢) رواه أبوداود: كتاب المناسك، باب زيارة القبور، رقم(٢٠٤٢).

وإنما الميت يترحم عليه إذا كان مسلمًا، ويُدعىٰ له بالمغفرة والرحمة، والنبي ﷺ إذا سلم عليه مسلم يصلي عليه ـ عليه الصلاة والسلام ـ ويدعو له، أما أن يطلبه المدد أو الشفاعة أو النصر علىٰ الأعداء كل هذا لا يجوز، وهذا من عمل أهل الجاهلية ومن عمل أهل الشرك، فيجب علىٰ المسلم أن ينتبه لهذا وأن يحذر مثل هذا.

* * *

ما يشرع في التوسل بالنبي وما لا يشرع(١)

س: ما حكم التوسل بسيد الأنبياء؟ وهل هناك أدلة على تحريمه؟

ج: التوسل بالنبي ﷺ فيه تفصيل، فإن كان ذلك باتباعه ومحبته وطاعة أوامره وترك نواهيه والإخلاص لله في العبادة فهذا هو الإسلام، وهو دين الله الذي بعث به أنبياءه، وهو الواجب علىٰ كل مكلَّف، وهو الوسيلة للسعادة في الدنيا والآخرة، أما التوسل بدعائه والاستغاثة به وطلبه النصر علىٰ الأعداء والشفاء للمرضىٰ فهذا هو الشرك الأكبر، وهو دين أبي جهل وأشباهه من عبدة الأوثان، وهكذا فِعلُ ذلك مع غيره من الأنبياء والأولياء أو الجن أو الملائكة أو الأشجار أو الأحجار أو الأصنام.

وهناك نوع ثالث يُسمَّىٰ التوسل وهو التوسل بجاهه ﷺ أو بحقه أو بذاته مثل أن يقول الإنسان: أسألك يا الله بنبيك أو جاه نبيك أو حق نبيك أو جاه الأنبياء أو حق الأنبياء أو جاه الأولياء والصالحين وأمثال ذلك، فهذا

---

(١) مجموع فتاوى سماحة الشيخ ابن باز (٣/ ٩٤٧، ٩٤٨).

بدعة ومن وسائل الشرك، ولا يجوز فعله معه ﷺ ولا مع غيره؛ لأن الله سبحانه وتعالىٰ لم يشرع ذلك. والعبادات توقيفية لا يجوز منها إلا ما دل عليه الشرع المطهر، وأما توسل الأعمىٰ به في حياته ﷺ فهو توسل به ﷺ ليدعو له ويشفع له إلىٰ الله في إعادة بصره إليه، وليس توسلاً بالذات أو الجاه أو الحق كما يُعلم ذلك من سياق الحديث وكما أوضح ذلك علماء السنّة في شرح الحديث.

وقد بسط الكلام في ذلك شيخ الإسلام أبو العباس ابن تيمية رحمه الله في كتبه الكثيرة المفيدة، ومنها كتابه المسمىٰ (القاعدة الجليلة في التوسل والوسيلة) وهو كتاب مفيد جدير بالاطلاع عليه والاستفادة منه.

وهذا الحكم جائز مع غيره ﷺ من الأحياء كأن تقول لأخيك أو أبيك أو من تظن فيه الخير: ادع الله لي أن يشفيني من مرضي أو يرد عليَّ بصري أو يرزقني الذرية الصالحة أو نحو ذلك بإجماع أهل العلم؛ والله ولي التوفيق.

* * *

الفرق بين الزيارة الشرعية والزيارة الشركية[1]

س: يقول السائل: أسالكم عن زيارة قبور الصالحين وتقبيلها أو تقبيل ترابها والتبرك به، هل هذا يجوز أم لا؟ وما حكم طلب المدد من غير الله؟

ج: زيارة القبور للصالحين والمسلمين عمومًا سنة وقربة، فالرسول ﷺ أمر بزيارة القبور وحث عليها وأخبر أنها تذكر الآخرة وتزهد في الدنيا،

(١) فتاوى نور على الدرب (٢/ ١٨٢).

وتذكر الموت قال عليه الصلاة والسلام: «زوروا القبور فإنها تذكر الآخرة[١]» وكان عليه الصلاة والسلام يعلِّم أصحابه إذا زاروا القبور أن يقولوا: «السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، نسأل الله لنا ولكم العافية»[٢]. وفي حديث عائشة يقول: «يرحم الله المستقدمين منا ومنكم والمستأخرين»[٣].

فعلينا معشر المسلمين أن نعلم هذا الحكم، ويشرع لنا أن نزور القبور للذكرىٰ والرغبة في الآخرة، والزهد في الدنيا والإحسان للموتىٰ بالدعاء لهم بالمغفرة والرحمة والعافية، وهي تذكر الآخرة وأن العبد صائر إلى ما صاروا إليه من هذا الموت حتى يستعد للآخرة.

أما تقبيل القبور فلا تقبل القبور ولا النصائب ولا التراب ولا الجدران إن كان عليها جدران، كل هذا منكر لا يجوز، وهذا من الغلو ولا يجوز البناء علىٰ القبور، لابد أن تكون مكشوفة ليس عليها بناء، واتخاذ القباب عليها من البدع، وهكذا بناء المساجد عليها من البدع، أنكرها الرسول ﷺ وقال: «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»[٤].

---

(١) رواه ابن ماجه: كتاب ما جاء في الجنائز، باب ما جاء في زيارة القبور، رقم(١٥٦٩).
(٢) رواه مسلم: كتاب الجنائز، باب ما يُقال عند دخول القبور والدعاء لأهلها، رقم(٩٧٥).
(٣) رواه مسلم: كتاب الجنائز، باب ما يُقال عند دخول القبور والدعاء لأهلها، رقم(٩٧٤).
(٤) رواه البخاري: كتاب الجنائز، باب ما جاء في قبر النبي ﷺ، رقم(١٣٩٠)، =

وقال جابر رضي الله عنه: «نهى النبي ﷺ عن تجصيص القبور والقعود عليها والبناء عليها والكتابة عليها[١]» فليس لأحد أن يبني على القبور؛ لا قبابًا ولا مساجد ولا غير ذلك، وليس له أن يقبلها ولا أن يتبرك بترابها، ولا أن يطلب من الشيخ المدد، ولا يجوز أن يقول: يا رسول الله مدد مدد، ولا يقول: مدد يا فلان، يا شيخ عبد القادر أو يا بدوي أو يا حسين، أو يا أبا حنيفة أو يا أبا فلان. كل هذا لا يجوز.

المدد لا يطلب من الميت، إنما يطلب من الله جل وعلا، تقول: يا رب أغثني، يا رب ارحمني، يا رب اشف مريضي، يا رب ارزقني.

أما طلب المدد من الموتى فهو شرك بالله عزَّ وجلَّ، وهو من الشرك الأكبر ومن عمل الجاهلية فلا يقبل الحجارة ولا النصائب، ولا يأخذ التراب للبركة، ولا يطلب المدد من المخلوق الميت، أما الحي الحاضر تقول: يا أخي ساعدني، بكذا أو أعني على كذا، وهو حي حاضر فلا بأس.

أما الميت فلا تطلب منه شيئًا من شفاء مريض أو دفع ضر، أو نصر على عدو؛ لأن الميت انقطع عمله، وليس له التصرف في الكون، بل التصرف لله وحده سبحانه وتعالى، هو المالك لكل شيء، والقاهر فوق عباده، وهو النافع الضار، المعطي المانع، المدبر للكون سبحانه وتعالى، وأما الميت

= ومسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب النهي عن بناء المساجد على القبور، رقم(٥٢٩).

(١) رواه مسلم: كتاب الجنائز، باب النهي عن تجصيص القبر والبناء عليه، رقم(٩٧٠).

فهو مرتهن بعمله، ليس له تصرف.

قال النبي ﷺ: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية» مثل الأوقاف التي وقفها في حياته «أو علم ينتفع به» كالكتب التي ألفها أو طلبة علَّمهم فله أجر ذلك، «أو ولد صالح يدعو له»(١).

أما كونه يتصرف في الكون فيمد هذا أو يمد هذا أو ينصر هذا فهذا منكر لا حقيقة له ولا صحة له.

أما الاستغاثة بالأموات والنذر لهم والتقرب إليهم بالذبائح وطلب المدد والغوث، فكل هذا من فعل الجاهلية ومن عمل أهل الشرك، وهو شرك أكبر يجب الحذر منه.

ولذلك عليك أيها السائل أن تبلغ إخوانك الذين يفعلون هذا أن هذا منكر، وأنه شرك، وأنه يجب ترك ذلك والتوبة إلى الله منه؛ لأن هذا من عمل الجاهلية.

* * *

حكم التوسل بالموتى وزيارة القبور(٢)

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله وصحبه، أما بعد:

---

(١) سبق تخريجه ص(٨٦).

(٢) مجموع فتاوى سماحة الشيخ ابن باز (٣/٩٥٣، ٩٥٤).

س: فقد سئلت عن حكم التوسل بالموتىٰ وزيارة القبور فاجبت بما يلي:

ج: إذا كانت الزيارة لسؤال الموتىٰ والتقرب إليهم بالذبائح والنذر لهم والاستغاثة بهم ودعوتهم من دون الله فهذا شرك أكبر، وهكذا ما يفعلونه مع من يسمونهم بالأولياء سواء كانوا أحياءً أو أمواتًا حيث يعتقدون فيهم أنهم ينفعونهم أو يضرونهم أو يجيبون دعوتهم أو يشفون مرضاهم، كل هذا شرك أكبر والعياذ بالله، وهذا كعمل المشركين مع اللات والعزّىٰ ومناة ومع أصنامهم وآلهتهم الأخرىٰ.

والواجب علىٰ ولاة الأمر والعلماء في بلاد المسلمين أن ينكروا هذا العمل، وأن يعلِّموا الناس ما يجب عليهم من شرع الله، وأن يمنعوا هذا الشرك، وأن يحولوا بين العامة وبينه، وأن يهدموا القباب التي علىٰ القبور ويزيلوها، لأنها فتنة ولأنها من أسباب الشرك ولأنها محرمة، فالرسول ﷺ نهىٰ أن يُبنىٰ علىٰ القبور، وأن تُجصَّص وأن يقعد عليها وأن يُصلىٰ إليها، ولعن من اتخذ عليها المساجد؛ فلا يجوز البناء عليها لا مساجد ولا غيرها، بل يجب أن تكون بارزة ليس عليها بناء كما كانت قبور المسلمين في المدينة المنورة، وفي كل بلد إسلاميّ لم يتأثر بالبدع والأهواء.

أما زيارة القبور للذكرىٰ والدعاء للميت والترحّم عليه فذلك سنّة في حق الرجال من دون شدِّ رحل لقول النبي ﷺ: «زوروا القبور فإنها تذكركم الآخرة[1]» خرّجه مسلم في صحيحه، وكان عليه الصلاة والسلام يعلم

---

(١) سبق تخريجه ص(٨٩).

أصحابه إذا زاروا القبور أن يقولوا: «السلام عليكم دار قومٍ مؤمنين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، نسأل الله لنا ولكم العافية، يرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين»[١]، وخرج الترمذي رحمه الله عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: مرَّ النبي ﷺ علىٰ قبور المدينة فأقبل عليهم بوجهه فقال: «السلام عليكم يا أهل القبور، يغفر الله لنا ولكم أنتم سلفنا ونحن بالأثر»[٢]. والأحاديث في هذا المعنىٰ كثيرة. وفي الصحيحين عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ، أنه قال: «لا تُشَدُّ الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى»[٣]. والله ولي التوفيق وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد وآله وصحبه.

التقرب للأموات بالذبح والنذور[٤]

س: يقول السائل: ما حكم قراءة الفاتحة وذبح المواشي ودفع الفلوس عند الأموات؟

ج: تقدم أن التقرب للأموات بالذبائح أو بالفلوس أو بالنذور أو غير هذا من الشرك الأكبر ولا يجوز، وهذا من العبادات التي لا تكون إلا لله

---

(١) سبق تخريجه ص(٨٩).
(٢) رواه الترمذي: كتاب الجنائز، باب ما يقول الرجل إذا دخل المقابر، رقم(١٠٥٣).
(٣) رواه البخاري: كتاب الجمعة، باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، رقم(١١٨٩)، ومسلم: كتاب الحج، باب لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد، رقم(١٣٩٧).
(٤) فتاوى نور على الدرب (٢/ ١٦٢).

وحده، الذبح لله وحده، وهكذا النذور وهكذا الصدقات كلها لله وحده، قال الله تعالىٰ: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي ﴾ أي: قل يا محمد: ﴿ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي ﴾ يعني ذبحي ﴿ وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ لَا شَرِيكَ لَهُ ﴾ [الأنعام: ١٦٢ - ١٦٣].

وقال سبحانه وتعالىٰ: ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ۝ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴾ [الكوثر: ١ - ٢] وقال النبي ﷺ: «لعن الله من ذبح لغير الله[1]» رواه مسلم في صحيحه من حديث علي رضي الله عنه.

فالذبح لغير الله من أولياء أو كوكب أو جنٍّ شركٌ بالله عزَّ وجلَّ، وهكذا للأصنام كلّه شرك بالله عزَّ وجلَّ، أما الذبح لله فهو عبادة، إذا تقرب إلىٰ الله بالذبائح من ضحايا وهدايا وبالنذور كل هذا عبادة لله وحده سبحانه وتعالىٰ، فهذه العبادة لا تصرف لغير الله، لا للأولياء ولا للأنبياء ولا للأصنام ولا للكواكب ولا لغيرها من المخلوق.

وكذلك كونه يقدم نقودًا لصاحب القبر، فالنقود قربة مثل ما يتقدم إلىٰ الله بالصدقات التي يعطيها الفقراء، فإذا أعطىٰ الفقراء نقودًا فهي صدقة يُرجىٰ ثوابها من الله عزَّ وجلَّ، فإذا قدمها للميت فقد عبده بهذه الصدقة وعبده بهذه النقود التي يتقرب بها للميت، ويأخذها زيد وعمرو، فهذا منكر عظيم، وشرك فظيع، ولا يجوز أبدًا، فيجب على المؤمن أن يحذر هذه الشرور وأن ينبه غيره علىٰ ذلك، والله المستعان.

---

(١) رواه مسلم: كتاب الأضاحي، باب تحريم الذبح لغير الله تعالى، رقم(١٩٧٨).

إقامة الموالد لأصحاب الأضرحة[١]

س: يوجد بقريتنا ضريح لأحد الأولياء، والناس يأتون إليه ويقدمون إليه النذور والذبائح ويطوفون بالقبر ويتمسحون به ابتغاء البركة، ويقيمون عنده حلقات الذكر، وكل ذلك مع اختلاط النساء بالرجال، ومع ندائهم لصاحب القبر والاستغاثة به وطلب العون منه، فما الحكم في هؤلاء الناس وفي أفعالهم هذه؟ وما الحكم في المولد لهذا الشيخ ولغيره؟

ج: الذي يأتي إلىٰ ضرائح الموتىٰ، ويدعهم ويسألهم شفاء المرضىٰ أو يطلب منهم المدد والعون أو دخول الجنة أو النجاة من النار أو ينذر لهم أو يذبح لهم أو يطوف بقبورهم يطلب البركة منهم والأجر منهم أو النجاة من النار أو الشفاء من المرض أو سعة الرزق أو ما أشبه ذلك، كله كفر أكبر وشرك أكبر والعياذ بالله.

هذا دين المشركين قال الله جل وعلا: ﴿فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨]، قال سبحانه في حق الأصنام والمعبودين من دون الله جميعًا: ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُواْ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُواْ مَا ٱسْتَجَابُواْ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾ [فاطر: ١٤] سماه شركًا، قال سبحانه: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٧] فسمىٰ دعوة غير الله كفرًا وضلالاً وشركًا، وهكذا إقامة

---

(١) فتاوى نور على الدرب (٢/ ١٩٤).

الأذكار أو الموالد عند القبر بدعة، فإقامة الحفل عند القبر أو المولد أو الأذكار أو الحلقات العلمية أو القرآن هذا بدعة وليس بشرك.

أما طلب الحاجات منه والتمسح بتراب قبره لطلب البركة أو لطلب شفاء المريض فهذا من الكفر الأكبر، نسأل الله العافية ولا حول ولا قوة إلا بالله.

أما الموالد فكلها بدعة والاحتفال بالموالد كلها بدعة عند المحققين من أهل العلم؛ لأن الله سبحانه وتعالىٰ ما شرع لنا ذلك، فالرسول ﷺ لم يحتفل بمولده، وهكذا الصحابة لم يحتفلوا بمولد النبي ﷺ ولا بمولد الصديق ولا بمولد عمر ولا عثمان ولا علي، وهم قدوة وهم الأخيار، فلو كان هذا خيرًا لسبقونا إليه.

فالاحتفال بمولد النبي ﷺ أو المشايخ أو الأمراء أو غيرهم كله بدعة، وكله لا يجوز لقول النبي ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»[1]، ولقوله عليه الصلاة والسلام: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»[2]، يعني مردود، ولقوله عليه الصلاة والسلام: «إياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة»[3]، وكان يقول في خطبة

---

(١) رواه البخاري: كتاب الصلح، باب إذا اصطلحوا على صلح جور، رقم(٢٦٩٧)، ومسلم: كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة، رقم(١٧١٨).

(٢) رواه مسلم: كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة، رقم(١٧١٨).

(٣) رواه أحمد برقم(١٦٦٩٤)، وأبوداود: كتاب السنة، باب في لزوم السنة، رقم(٤٦٠٧)، والترمذي: كتاب العلم، باب ما جاء في الأخذ بالسنة، رقم(٢٦٧٦)، =

الجمعة عليه الصلاة والسلام: «إن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة»[١].

فالواجب على أهل الإسلام أن يحذروا هذه البدع وأن يبتعدوا عنها، وإذا كان فيها اختلاط بين الرجال والنساء صار الأمر أكبر وصارت الفتنة أعظم وصار الإثم أكثر؛ فإن الاختلاط بين الرجال والنساء عند قبر أو في أي احتفال منكر، ومن أسباب الزنا والفواحش ومن أسباب الوقوع في المحارم.

فالواجب الحذر من ذلك حتىٰ في غير الاحتفال، حتىٰ في الولائم الأخرىٰ، فلا يجوز أن يجتمع الرجال والنساء في حفلة ويختلطوا في حفلة عرس أو في أي حفلة؛ لأن هذا يسبب فتنة للرجال بالنساء وللنساء بالرجال، فالواجب التمييز وأن يكون اجتماع النساء علىٰ حدة واجتماع الرجال علىٰ حدة في الولائم وفي الاحتفالات الجائزة شرعًا مثل الأعراس وغيرها.

* * *

احتفال المسلمين بالمولد النبوي[٢]

س: هل يحل للمسلمين أن يحتفلوا بالمولد النبوي؟ هل يحل للمسلمين أن يحتفلوا في المسجد ليتذكروا السيرة النبوية الشريفة في ليلة ١٢ ربيع الأول بمناسبة المولد النبوي الشريف بدون أن يعطلوا نهاره كالعيد؟ واختلفنا فيه: قيل بدعة حسنة، وقيل بدعة غير حسنة؟

= وابن ماجه: أبواب المقدمة، باب اجتناب البدع والجدل، رقم(٤٦).

(١) رواه مسلم: كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة، رقم(٨٦٧).

(٢) مجموع فتاوى سماحة الشيخ ابن باز (٢/ ٨٧٦، ٨٧٧).

ج: ليس للمسلمين أن يقيموا احتفالاً بمولد النبي ﷺ في ليلة ١٢ ربيع الأول ولا في غيرها، كما أنه ليس لهم أن يقيموا أي احتفال بمولد غيره عليه الصلاة والسلام؛ لأن الاحتفال بالموالد من البدع المحدثة في الدين؛ لأن النبي ﷺ لم يحتفل بمولده في حياته ﷺ وهو المبلغ للدين والمشرع للشرائع عن ربه سبحانه ولا أمر بذلك، ولم يفعله خلفاؤه الراشدون ولا أصحابه جميعًا ولا التابعون لهم بإحسان في القرون المفضلة؛ فعلم أنه بدعة وقد قال ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد[١]» متفق على صحته، وفي رواية لمسلم وعلّقها البخاريُّ جازمًا بها: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»[٢].

والاحتفال بالموالد ليس عليه أمر النبي ﷺ بل هو مما أحدثه الناس في دينه في القرون المتأخرة فيكون مردودًا، وكان عليه الصلاة والسلام يقول في خطبته يوم الجمعة: «أما بعد: فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة[٣]» رواه مسلم في صحيحه، وأخرجه النسائي بإسناد جيد وزاد: «وكل ضلالة في النار»[٤].

ويغني عن الاحتفال بمولده ﷺ تدريس الأخبار المتعلقة بالمولد ضمن الدروس التي تتعلق بسيرته عليه الصلاة والسلام وتاريخ حياته في الجاهلية

---

(١) سبق تخريجه ص(٩٧).

(٢) سبق تخريجه ص(٩٧).

(٣) سبق تخريجه ص(٩٩).

(٤) رواه النسائي: كتاب العيدين، باب كيف الخطبة، رقم(١٥٧٨).

والإسلام في المدارس والمساجد وغير ذلك، من غير حاجة إلىٰ إحداث احتفال لم يشرعه الله ولا رسوله ﷺ ولم يقم عليه دليل شرعي، والله المستعان، ونسأل الله لجميع المسلمين الهداية والتوفيق للاكتفاء بالسنّة والحذر من البدعة.

التمائم المنهي عنها[(١)]

س: ما المقصود بالتمائم التي يكون بها الشرك، وهل يعتبر من علقها مشركًا لا تجوز الصلاة عليه؟

ج: التمائم المنهي عنها هي ما يعلق علىٰ الصبيان والمرضىٰ أو غيرهم؛ من خرزات أو حلقات أو مسامير أو عظام أو غير ذلك، مما كانت تعمله الجاهلية، ويلتحق بذلك في أصح قولي العلماء ما يعلق من القرآن أو الأدعية الشرعية، لعموم الأحاديث الدالة علىٰ تحريم ذلك والنهي عنه.

ومن ذلك قول النبي ﷺ: «إن الرقىٰ والتمائم والتولة شرك»[(٢)]، وقوله ﷺ: «من تعلق تميمة فلا أتم الله له، ومن تعلَّق ودعة فلا ودع الله له[(٣)]» وفي رواية أخرىٰ: «من تعلق تميمة فقد أشرك»[(٤)].

ولقوله لما رأىٰ رجلاً في يده حلقة من صفر: «ما هذا»؟ قال: من

---

(١) مجموع فتاوى سماحة الشيخ ابن باز (١/ ٢٧٧، ٢٧٨).

(٢) رواه أحمد برقم(٣٦٠٤)، وأبوداود: كتاب الطب، باب في تعليق التمائم، رقم(٣٨٨٣)، وابن ماجه: كتاب الطب، باب تعليق التمائم، رقم(٣٥٣٠).

(٣) رواه أحمد برقم(١٦٩٥١).

(٤) رواه أحمد برقم(١٦٩٦٩).

الواهنة، فقال: «انزعها فإنها لا تزيدك إلا وهنًا، فلو مت وهي عليك ما أفلحت أبدًا»[1]. وفي الباب أحاديث أخرىٰ، وكلها تدل علىٰ تحريم تعليق التمائم من أي نوع كانت، وهي من المحرمات الشركية، ولكنها من الشرك الأصغر، إلا أن يعتقد من علقها أنها تدفع الشر عنه بنفسها دون الله عزَّ وجلَّ، فإنها والحال ما ذُكِر تكون من الشرك الأكبر.

أما من علَّقها معتقدًا أنها سبب لدفع الأذىٰ، أو دفع الجن، أو نحو ذلك فهذا من المحرمات الشركية شركًا أصغر، وليس ذلك من الشرك الأكبر.

والمراد بالرقَىٰ المنهي عنها هي الرقىٰ التي تكون بلسان غير معروف المعنىٰ، أو تشتمل علىٰ معانٍ محرمة، أما إذا كانت الرقىٰ بكلمات معروفة المعنىٰ، وليس فيها محذور شرعًا؛ كالرقىٰ بالآيات القرآنية والدعوات النبوية أو الدعوات الطيبة التي ليس فيها ما يحرمه الشرع المطهر ولم يعتمد عليها الراقي ولا المرقي، وإنما يعتقدان جميعًا أنها سبب من الأسباب، والشفاء من الله سبحانه وتعالىٰ لا شفاء إلا شفاؤه، فلا بأس بها بالشروط المذكورة.

والمراد بالتولة نوع من السحر يُقال له الصرف والعطف، وكل أنواع السحر محرمة بل من المحرمات الشركية، لما جاء في ذلك من الآيات والأحاديث الدالة علىٰ تحريم السحر، وأنه من الشرك الأكبر؛ والله ولي التوفيق.

❊ ❊ ❊

---

(١) رواه ابن ماجه: كتاب الطب، باب تعليق التمائم، رقم(٣٥٣١).

الرقى المنهي عنها والجائزة[١]

س: عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الرُّقَىٰ والتمائم والتِّولَةَ شرك»[٢].

وعن جابر رضي الله عنه قال: كان لي خال يرقي من العقرب، فنهىٰ رسول الله ﷺ عن الرقىٰ، قال: فأتاه فقال: يا رسول الله، إنك نهيت عن الرُّقىٰ وأنا أرقي من العقرب. فقال: «من استطاع منكم أن ينفع أخاه فليفعل»[٣].

ما هو الجمع بين أحاديث المنع والجواز في موضوع الرقىٰ؟ وما حكم تعليق الرقىٰ من القرآن علىٰ صدر المبتلَىٰ؟

ج: الرقىٰ المنهي عنها هي الرقى التي فيها شرك أو توسل بغير الله، أو ألفاظ مجهولة لا يُعرف معناها.

أما الرقىٰ السليمة من ذلك فهي مشروعة، ومن أعظم أسباب الشفاء، لقول النبي ﷺ: «لا بأس بالرّقىٰ ما لم تكن شركًا»[٤]، وقوله ﷺ: «من استطاع منكم أن ينفع أخاه فلينفعه[٥]» خرَّجهما مسلم في صحيحه،

---

(١) مجموع فتاوى سماحة الشيخ ابن باز (١/٢٧٨، ٢٧٩).
(٢) سبق تخريجه ص(١٠٠).
(٣) رواه مسلم: كتاب السلام، باب استحباب الرقية من العين والنملة والحمة، رقم(٢١٩٩).
(٤) رواه مسلم: كتاب السلام، باب لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك، رقم(٢٢٠٠).
(٥) سبق تخريجه ص(١٠١).

وقال ﷺ: «لا رقية إلا من عين أو حُمَة[1]» ومعناه لا رقية أَوْلىٰ وأشفىٰ من الرقية من هذين الأمرين؛ وقد رَقىٰ النبي ﷺ ورُقي.

أما تعليق الرُّقىٰ علىٰ المرضىٰ أو الأطفال، فذلك لا يجوز؛ وتُسمَّىٰ الرقىٰ المعلقة: (التمائم)، وتسمىٰ: الحروز والجوامع، والصواب فيها أنها محرمة، ومن أنواع الشرك، لقول النبي ﷺ: «مَنْ لبس تميمةً فلا أتم الله له، ومن تعلَّق وَدَعَة فلا وَدَع الله له»[2]، وقوله ﷺ: «من تعلَّق تميمة فقد أشرك[3]». وقوله ﷺ: «إن الرقى والتمائم والتولة شرك»[4].

واختلف العلماء في التمائم إذا كانت من القرآن أو من الدعوات المباحة هل هي محرم أم لا؟ والصواب تحريمها لوجهين:

* **أحدهما:** عموم الأحاديث المذكورة، فإنها تعم التمائم من القرآن وغير القرآن.
* **والوجه الثاني:** سد ذريعة الشرك، فإنها إذا أُبِيحت التمائم من القرآن اختلطت بالتمائم الأخرىٰ، واشتبه الأمر، وانفتح باب الشرك بتعليق التمائم كلها، ومعلوم أن سد الذرائع المفضية إلىٰ الشرك والمعاصي من أعظم القواعد الشرعية، والله ولي التوفيق.

---

(١) رواه البخاري: كتاب الطب، باب من اكتوى أو كوى غيره، رقم(٥٧٠٥)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة، رقم(٢٢٠).

(٢) سبق تخريجه ص(١٠٠).

(٣) سبق تخريجه ص(١٠٠).

(٤) سبق تخريجه ص(١٠٠).



حكم تعليق الخيط في الرقبة أو اليد(١)

س: يقول السائل: ما حكم الذي يتعلق خيطًا لرفع البلاء أو دفعه؟

ج: هذا ينكر عليه؛ لأنه من الشرك الأصغر من جنس التمائم، والنبي ﷺ قال: «من تعلَّق تميمة فلا أتمَّ الله له، ومن تعلَّق ودعة فلا ودع الله له»(٢)، وفي رواية: «من تعلَّق تميمة فقد أشرك»(٣)، ولما دخل حذيفة رضي الله عنه علىٰ رجل وقد علق عليه خيطًا من الحمىٰ قطعه حذيفة وأنكر عليه، وتلا قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦].

بين له أن هذا من الشرك، فتعليق الخيوط والتمائم، من الودع، أو من العظام، أو من شعر الذئب، أو من عظام الذئب، أو أسنانه، كل هذا من الخرافات الجاهلية، وهو من المنكرات.

وهكذا تعليق الحجب من القرآن أومن غيره ويسمونها الحروز، ويسمونها الجامعات كل هذا لا يجوز؛ لأن النبي ﷺ عمَّم النهي، ولم يستثنِ قرآنًا ولا غيره، ولأن استعمال القرآن يُفضي إلىٰ استعمال غيره فينفتح باب الشرك ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: «إن الرقىٰ والتمائم والتولة شرك»(٤).

---

(١) فتاوى نور على الدرب (٢/ ١٥١).

(٢) سبق تخريجه ص(١٠٠).

(٣) سبق تخريجه ص(١٠٠).

(٤) سبق تخريجه ص(١٠٠).

* **والرقىٰ:** هي الرقىٰ المجهولة التي ليست علىٰ الطريقة الشرعية ، هكذا التمائم فتُعلق علىٰ الأولاد من العين ، أو تعلق علىٰ النساء والمرضىٰ من الجن ، كلّ هذا منكر ومن عمل الجاهلية .

* **والتولةُ:** الصرف والعطف وهو السحر ، فعده ﷺ من الشرك ؛ لأنه استعان فيه بالجن والشياطين ، فالساحر والساحرة إنما يتم لهما ما يتعاطيان من السحر بواسطة عبادتهما الجن والشياطين والتقرب إليهم بما يرضيهم .

* **والخيوط:** من جنس التمائم ؛ من علق علىٰ يده خيطًا ، أو علىٰ رقبته يزعم أنه من أسباب الشفاء فهذا من المنكرات والواجب أن يقطع وينزع عنه .

* * *

الحلف بغير الله[١]

س: ما حكم الحلف بغير الله؟

ج: الحلف بغير الله لا يجوز ، وهو من الشرك الأصغر أيضًا ، وقد يكون من الشرك الأكبر إذا اعتقد الحالف بغير الله أن هذا المحلوف به مثل الله ، أو يصح أن يدعىٰ من دون الله ، أو أنه يتصرف في الكون من دون الله ، فإنه يكون شركًا أكبر ، نعوذ بالله من ذلك .

والحاصل أن الحلف بغير الله لا يجوز ، قال النبي ﷺ «من كان حالفًا

---

(١) مجموع فتاوى سماحة الشيخ ابن باز (١/ ٢٨١ ، ٢٨٢).

فليحلف بالله أو ليصمت»[١] وقال: «لا تحلفوا بآبائكم ولا بأمهاتكم ولا بالأنداد»[٢]، وقال عليه الصلاة والسلام: «من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك»[٣]، وفي رواية: «من حلف بشيء دون الله فقد أشرك»[٤]، وقال عليه السلام: «من حلف بالأمانة فليس منا»[٥]، وكلها أحاديث صحيحة عن رسول الله ﷺ، وأدرك رسول الله ﷺ يومًا أصحابه بالسفر يحلفون بآبائهم، فقال لهم عليه الصلاة والسلام: «إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، من كان حالفًا فلا يحلف إلا بالله أو ليصمت»[٦].

وقال الإمام أبو عمر ابن عبد البر رحمه الله المتوفىٰ سنة ٤٦٣هـ: إن العلماء أجمعوا علىٰ أنه لا يجوز الحلف بغير الله، وهذا يدل علىٰ أن الحلف بالأمانة، أو بالنبي ﷺ أو بالكعبة، أو بحياة فلان، أو بشرف فلان، كله لا يجوز وإنما يكون الحلف بالله وحده، والله الموفق.



---

(١) سبق تخريجه ص(٣١).
(٢) رواه أبوداود: كتاب الأيمان والنذور، باب في كراهية الحلف بالآباء، رقم(٣٢٤٨)، والنسائي: كتاب الأيمان والنذور، باب الحلف بالأمهات، رقم(٣٧٦٩).
(٣) سبق تخريجه ص(٣١).
(٤) سبق تخريجه ص(٣٠).
(٥) رواه أبوداود: كتاب الأيمان والنذور، باب كراهية الحلف بالأمانة، رقم(٣٢٥٣).
(٦) رواه البخاري: كتاب المناقب، باب أيام الجاهلية، رقم(٣٨٣٦)، ومسلم: كتاب الأيمان، باب النهي عن الحلف بغير الله تعالى، رقم(١٦٤٦).

حول الطيرة والتشاؤم[1]

س: ما التوفيق بين قوله ﷺ: «لا طيرة ولا هامة» وقوله: «إن كانت الطيرة ففي البيت والمرأة والفرس؟» أفيدونا جزاكم الله خيرًا.

ج: الطيرة نوعان:

* **الأولى**: من الشرك، وهي التشاؤم من المرئيات أو المسموعات، فهذه يُقال لها طيرة، وهي من الشرك ولا تجوز.

* **الثانية**: مستثناة وهذه ليست من الطيرة الممنوعة، ولهذا جاء في الحديث الصحيح: «الشؤم في ثلاث: في المرأة، وفي الدار، وفي الدابة[2]» وهذه المستثناة، وليست من الطيرة الممنوعة، لأن بعضهم يقول: إن بعض النساء أو الدواب فيهن شؤم وشر بإذن الله، وهو شر قدري، فإذا ترك البيت الذي لم يناسبه، أو طلق المرأة التي لم تناسبه، أو الدابة أيضًا التي لم تناسبه فلا بأس، فليس هذا من الطيرة.

* * *

حكم قراءة الكف والفنجان وضرب الودع[3]

س: يقول السائل: صاحب الودع وقارئة الفنجان والكف: هل هذا حرام أم حلال؟

---

(١) مجمع فتاوى سماحة الشيخ (١/ ٢٨٢).

(٢) رواه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب ما يُذكر من شؤم الفرس، رقم(٢٨٥٨)، ومسلم: كتاب السلام، باب الطيرة والفأل، رقم(٥٢٢٥).

(٣) فتاوى نور على الدرب (٢/ ١٣٩).

ج: كل هذا بدعة، وكل هذا منكر لا صحة له، صاحب الفنجان وقراءة الكف ورمي الودع وضرب الودع أو الحصىٰ، كله من تعاطي علم الغيب، كله باطل، ومنكر ولا صحة له، وهو دجل وكذب وافتراء، كونهم يدعون علم الغيب بأشياء أخرىٰ غير هذا كذب، وإنما يعتمدون علىٰ ما تقول لهم أصحابهم من الجن، فإن بعضهم يستخدم الجن ويقول ما تقول له الجن، فَيَصْدُقون ويكذبون، يصدقون في بعض الأشياء التي اطلعوا عليها في بعض البلدان أو استرقوها من السمع، ويكذبون في الغالب والأكثر.

ويتحيَّلون علىٰ الناس حتىٰ يأخذوا أموالهم بالباطل، وهكذا الإنس الذين يخدمونهم يكذبون أيضًا ويفترون ويقولون هذا كذا وهذا كذا وهم كذبة، إنما يأكلون أموال الناس بالباطل.

وعلم الغيب لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالىٰ. فهذا كله باطل وإن تكرر حدوث ما يخبر به هؤلاء مثل أن يخبروا عن إنسان فعل كذا أو فعل كذا وهم قد شاهدوه في مناطق أخرىٰ، أو أشياء أخبرهم بها الجن أنها وقعت في بلاد كذا وكذا، أو حدث كذا، أو صار كذا، فهم ينقلون عن الجن أخبارًا أدركها الجن في بعض البلدان فأخبروا بها أولياءهم، وهذا كله لا صحة له، ولا يحكم بأنهم يعلمون الغيب أبدًا، علم الغيب إلى الله سبحانه وتعالىٰ.

لكن هناك أمور تقع في بعض البلدان فينقلها الجن بعضهم إلىٰ بعض، أو شيء يسمع من السماء؛ يسمعونه من الملائكة، إذا استرقوا السمع إلىٰ السماء، فينقلونه إلىٰ أوليائهم من الإنس، فقد تكون حقًّا فيقع ويظن الناس أن كل ما فعلوا وقالوا صحيح، ويكذبون مع ذلك الكذب الكثير كما في

الحديث: «إنهم يكذبون معها مائة كذبة»[(١)]، والبعض منهم يكذب أكثر من مائة كذبة فلا يلتفت إليهم؛ لأن عمدتهم الكذب، وتعاطي الباطل والقول بغير علم، نسأل الله العافية.

والجن كالإنس فيهم الكافر وفيهم المبتدع وفيهم الفاسق وفيهم الطيب، فالفساق للفساق، والكفار للكفار، والطيبون للطيبين، فالجن الذين يكذبون لبعض شياطين الإنس بإخبارهم ببعض المغيبات التي سمعوها من السماء، أو سمعوها من بعض البلدان، هؤلاء يفعلون ذلك لأنهم خدموهم بعبادتهم من دون الله والذبح لهم ونحو ذلك.

فالجن يخدمونهم بهذه الأخبار وهذه الآثار التي يكذبون فيها، وقد يصدقون في الشيء القليل، فيظنهم الناس صادقين في البقية.

التسمي بعبد الرسول وعبد الحسن[(٢)]

س: نسمع أن هناك أناسًا سموا أبناءهم بعبد الرسول وعبد النبي وعبدالحسن فما توجيهكم في ذلك؟

ج: التعبيد لا يجوز إلا لله سبحانه، قال أبو محمد بن حزم الإمام المشهور: «اتفقوا ـ العلماء ـ علىٰ تحريم كل اسم مُعبَّد لغير الله؛ كعبد عمرو، وعبد الكعبة، وما أشبه ذلك، حاشا عبد المطلب».

ولا يجو التسمية بالتعبيد لغير الله كعبد النبي، وعبد الكعبة، وعبد

---

(١) رواه البخاري: كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، رقم(٣٢١٠)، ومسلم: كتاب السلام، باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان، رقم(٢٢٢٨).

(٢) مجموع فتاوى سماحة الشيخ ابن باز (٢/ ٧١١).

علي، وعبد المحسن، وعبد الحسين ونحو ذلك.

أما عبد المحسن فلا بأس به لأن المحسن هو من أسماء الله سبحانه وتعالىٰ.

وأحب الأسماء إلىٰ الله عبد الله وعبدالرحمن، وأصدقها حارث وهمام؛ كما رُوي عن ابن عمر مرفوعًا: «أحب الأسماء إلىٰ الله تعالىٰ عبد الله وعبد الرحمن[1]» رواه مسلم وأبو داود والترمذي، وفي رواية الطبراني عن ابن مسعود قال ﷺ: «أحب الأسماء إلىٰ الله ما تعبد له وأصدق الأسماء همام وحارث»[2].

* * *

---

(١) رواه مسلم: كتاب الآداب، باب النهي عن التكني بأبي القاسم، رقم(٢١٣٢)، وأبوداود: كتاب الأدب، باب في تغيير الأسماء، رقم(٤٩٤٩)، والترمذي: كتاب الأدب، باب ما جاء في ما يستحب من الأسماء، رقم(٢٨٣٣).

(٢) الطبراني: المعجم الأوسط (١/ ٢١٤).



الفهــرس

الموضوع	الصفحة
١ - وجوب عبادة الله وحده	٥
٢ - التوحيد وأنواعه	١١
- توحيد الربوبية	١٨
- توحيد الأسماء والصفات	٢٣
- توحيد الألوهية	٢٣
٣ - الشرك وأنواعه	٢٩
- الشرك الأكبر	٢٩
- الشرك الأصغر	٣٠
- الشرك الخفي	٣٣
٤ - ارتكاب الكبائر يؤثر في التوحيد	٣٧
٥ - شروط لا إله إلا الله وخطورة الجهل بها	٤٠
٦ - معنى قول المصطفى «من قال لا إله إلا الله خالصًا من قلبه دخل الجنة»	٤٦
٧ - نواقض الإسلام	٤٧
٨ - توضيح معنى الشرك بالله	٥٠
٩ - الشرك الأصغر لا يخلد صاحبه في النار	٥٣